بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة فاطر

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عليكم السلام .

سم .

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، قال الإمام القرطبي– رحمه الله تعالى–: "سُورَةُ فَاطِرٍ، مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الجَمِيعِ، وَهِيَ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يَجُوزُ فِي "فَاطِر" ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: الْخَفْضُ عَلَى النَّعْتِ، وَالرَّفْعُ عَلَى إِضْمَارِ مُبْتَدَأٍ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْمَدْحِ. وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ."

الخفض على النعت؛ يعني صفه للفظ الجلالة المجرور باللام، وهو مجرُور مثله، والوجه الثاني، الرفع على إضمار مبتدأ، الحمد لله، هو فاطر السموات، والنصب على المدح؛ أعني أو أمدح فاطر السموات والأرض.

"وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَهْلُ الْحَمْدِ مِثْلُهُ وَكَذَا "جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ ". وَالْفَاطِرُ: الْخَالِقُ. وَقَدْ مَضَى فِي(يُوسُفَ) وَغَيْرِهَا. وَالْفَطْرُ الشَّقُّ عَنِ الشَّيْءِ؛ يُقَالُ: فَطَرْتُهُ فَانْفَطَرَ. وَمِنْهُ: فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ طَلَعَ، فَهُوَ بَعِيرٌ فَاطِر. وَتَفَطَّرَ الشَّيْءُ تَشَقَّقَ. وَسَيْفٌ فُطَارٌ، أَيْ فِيهِ تَشَقُّقٌ. قَالَ عَنْتَرَةُ :

وَسَـــــــيْفِي كَالْعَقِيقَـــــــةِ فَهْـــــــوَ كِمْعِـــــــي

سِـــــــلَاحِي لَا أَفَـــــــلَّ وَلَا فُطَـــــــارَا"

يعني ضجيعي، كمعي؛ ضجيعي، نعم.

"وَالْفَطْرُ: الِابْتِدَاءُ وَالِاخْتِرَاعُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَّانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، أَيْ أَنَا ابْتَدَأْتُهَا. وَالْفَطْرُ حَلْبُ النَّاقَةِ بِالسَّبَّابَةِ وَالْإِبْهَامِ. وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَالَمُ كُلُّهُ، وَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الِابْتِدَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ. (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ) لَا يَجُوزُ فِيهِ التَّنْوِينُ، لِأَنَّهُ لِمَا مَضَى. (رُسُلًا) مَفْعُولٌ ثَانٍ."

نعم، لأنه لما مضى، جاعل الملائكة لما مضى من الزمان؛ يعني جاعلهم في الزمان الماضي، فإذا كان اسم الفاعل المضاف لما بعده، يجوز فيه قطعًا الإضافة، ونصب المضاف إليه، بهذا العامل؛ يعني أقول: جاعل الملائكة، ما تقول: جاعلٍ الملائكة، كما تقول: "منذِّر من يخشاها"، أو "منذر من يخشاها"، وذلك لأنه هنا، لما مضى؛ يعني جعلهم فيما مضى.

ولا يعني أن هذا الجعل أنقطع، لكن بداية هذا الجعل فيما مضى، فإذا كان، إذا كانت دلالة اسم الفاعل المضاف في المضي، أضيف، وإن كانت الدلالة للمستقبل، قطع عن الإضافة، ونصب ما بعده.

ذكرنا مرارًا أن القائل: أنا قاتل زيدٍ، هذا يعترف بأنه قتل زيًد فيما مضى، وإذا قال: أنا قاتلٌ زيدًا، هذا يهدد، يهدد بقتل زيد، ما قتله، وهذا الفرق بين الإضافة والقطع عهنا، ولذلك يقول: لا يجوز فيه التنوين، لا يجوز أن تقول جاعلٍ الملائكَة؛ لأنه لما مضى.

"(رُسُلًا) مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَيُقَالُ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ؛ لِأَنَّ (فَاعِلًا) إِذَا كَانَ."

جعل يتعدى إلى مفعولين، والمفعول الأول، الملائكة، الذي هو في السورة، مضاف إليه، والثاني رسلاً.

"لِأَنَّ (فَاعِلًا) إِذَا كَانَ لِمَا مَضَى لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ شَيْئًا، وَإِعْمَالُهُ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ حُذِفَ التَّنْوِينُ مِنْهُ تَخْفِيفًا."

يعني إعماله فيه؛ يعني إذا قلنا مفعول ثاني، قلنا العامل فيه جاعل، وهو في المستقبل لا في الماضي؛ لأن اسم الفاعل إذا كان، المشتق عمومًا الذي يعمل عمل فعله، وكذلك المصدر الذي هو أصل المشتقات، إذا كان للمستقبل، يقطع عن الإضافة، كان للماضي، يضاف.

وهنا إذا كان مضافًا، وهو للماضي، لا يعمل في ما بعده، فليس العامل في "رسلاً"، "جاعل الملائكة" على الإضافة، إنما هو عامٌل فيه إذا قطعناه عن الإضافة، وحذفت التنوين منه كما يقول: تخفيفًا، جاعل الملائكة؛ يعني كما تقول: "رأيت زيد بن محمد"، تقطع عن التنوين على لغة ربيعة، وإلا الأصل أن تقول "رأيت زيدًا بن محمدٍ"، يقول راوي: سمعت أنسًا، وإذا وصفه، قال: سمعت أنس بن مالك، هذه لغة ربيعة، الربعية، وأما لغة قريش، فهم ينونون على كل حال.

"وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي. {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} الرُّسُلُ مِنْهُمْ، جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ،- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: (جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ) بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ خُلَيْدُ بْنُ نَشِيطٍ (جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ) وَكُلُّهُ ظَاهِرٌ. {أُولِي أَجْنِحَةٍ} نَعْتٌ، أَيْ أَصْحَابُ أَجْنِحَةٍ. {مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} أَيِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَثَلَاثَةً ثَلَاثَةً، وَأَرْبَعَةً أَرْبَعَةً. قَالَ قَتَادَةُ: بَعْضُهُمْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَبَعْضُهُمْ ثَلَاثَةٌ، وَبَعْضُهُمْ أَرْبَعَةٌ؛ يَنْزِلُونَ بِهِمَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَيَعْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ كَذَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، أَيْ جَعَلَهُمْ رُسُلًا. قَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: إِلَى الْأَنْبِيَاءِ ."

يعني الله –جلّ وعلا– يرسلهم إلى الأنبياء، للوحي وغيره، وهذا على أن {مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}، وصف للأجنحة، وسيأتي قول من يقول إنها وصف للملائكة، ينزلون اثنين اثنين، ثلاثة ثلاثة، وهكذا.

"وَقَالَ السُّدِّيُّ: إِلَى الْعِبَادِ بِرَحْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «« رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»». وَعَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ: (يَا مُحَمَّدُ، لَوْ رَأَيْتَ إِسْرَافِيلَ إِنَّ لَهُ لَاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ مِنْهَا جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ وَإِنَّ الْعَرْشَ لَعَلَى كَاهِلِهِ وَإِنَّهُ فِي الْأَحَايِينِ لَيَتَضَاءَلُ لِعَظَمَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الْوَصْعِ."

الوصع، الوصع .

بالواو؟

نعم بالواو.

"حَتَّى يَعُودَ مِثْلَ الْوَصْعِ، وَالْوَصْعُ عُصْفُورٌ صَغِيرٌ، حَتَّى مَا يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ إِلَّا عَظَمَتُهُ). وَ(أُولُو) اسْمُ جَمْعٍ لِذُو، كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ اسْمُ جَمْعٍ لِذَا، وَنَظِيرُهُمَا فِي الْمُتَمَكِّنَةِ: الْمَخَاضُ."

أولو، جمع، أو اسم جمع، لا واحدة له من لفظه، مفرده ذو، وهؤلاء اسم جمع لذا، اسم الإشارة، هذا، وهذان، وهؤلاء جمع، ونظيرهما في المتمكنة؛ يعني المعربة؛ لأن ما تقدم غير معرب، كلها مبنية، أولو، وهؤلاء، وذو، وذا، هذه مبنيات، غير متمكنة، نظيره في المتمكنة؛ يعني المعربة.

"وَنَظِيرُهُمَا فِي الْمُتَمَكِّنَةِ:الْمَخَاضُ وَالْخَلِفَةُ. وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي {مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} فِي (النِّسَاءِ) وَأَنَّهُ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ. {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ}."

لأنه معدول، على الوصفية والعدل، معدول على اثنين اثنين، ثلاثة ثلاثة، فالوصفية والعدل، من موانع الصرف، هما علتان تمنعان من الصرف، كما أن عمر ممنوع للعلمية والعدل، للعلمية والعدل، معدوّل من عامر كما قالوا.

من الأئمة من يرى أنه مصروف؛ لأن عمر جمع عمره، وليس بمعدول عن عامر، على كل حال أكثر أهل العلم على أنه ممنوع من الصرف.

"{يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ}؛ أَيْ فِي خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ، فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ؛ ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَقَالَ الْحَسَنُ: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) أَيْ فِي أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ (مَا يَشَاءُ). وَقَالَ الزُّهْرِيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ: يَعْنِي حُسْنَ الصَّوْتِ. وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ."

ومضى أيضًا قبل خمسين صفحة، يعني في سورة (سبأ)، {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا} [سبأ:١٠] منهم من يقول: المراد به حسن الصوت، وهو المراد بقوله تعالى: {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} هذا تقدم؛ يعني قبل خمسين صفحه، صفحة: (٢٦٥).

"وَقَالَ الْهَيْثَمُ الْفَارِسِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَنَامِي، فَقَالَ: ««أَنْتَ الْهَيْثَمُ الَّذِي تُزَيِّنُ الْقُرْآنَ بِصَوْتِكَ جزاك اللَّهُ خَيْرًا»». وَقَالَ قَتَادَةُ: (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) الْمَلَاحَةُ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْحُسْنُ فِي الْأَنْفِ وَالْحَلَاوَةُ فِي الْفَمِ. وَقِيلَ: الْخَطُّ الْحَسَنُ. وَقَالَ مُهَاجِرٌ الْكَلَاعِيُّ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ««الْخَطُّ الْحَسَنُ يَزِيدُ الْكَلَامَ وُضُوحًا»». وَقِيلَ: الْوَجْهُ الْحَسَنُ.

وَقِيلَ فِي الْخَبَرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ الْوَجْهُ الْحَسَنُ وَالصَّوْتُ الْحَسَنُ وَالشَّعْرُ الْحَسَنُ؛ ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ. وَقَالَ النَّقَّاشُ هُوَ الشَّعْرُ الْجَعْدُ. وَقِيلَ: الْعَقْلُ وَالتَّمْيِيزُ. وَقِيلَ: الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ."

واللفظ يحتمل جميع هذا.

"(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) مِنَ النُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ.قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَالْآيَةُ مُطْلَقَةٌ تَتَنَاوَلُ كُلَّ زِيَادَةٍ فِي الْخَلْقِ؛ مِنْ طُولِ قَامَةٍ، وَاعْتِدَالِ صُورَةٍ، وَتَمَامٍ فِي الْأَعْضَاءِ، وَقُوَّةٍ فِي الْبَطْشِ، وَحَصَافَةٍ فِي الْعَقْلِ، وَجَزَالَةٍ فِي الرَّأْيِ، وَجُرْأَةٍ فِي الْقَلْبِ، وَسَمَاحَةٍ فِي النَّفْسِ، وَذَلَاقَةٍ فِي اللِّسَانِ، وَلَبَاقَةٍ فِي التَّكَلُّمِ، وَحُسْنِ تَأَتٍّ فِي مُزَاوَلَةِ الْأُمُورِ؛ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ."

أحسن الله عليك، الخط الحسن إذًا حديث؟

لا، لا.

ضعيف؟

ضعيف، أي نعم، إشكال على "الخط الحسن"، معروف، الحديث لا يثبت، نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} ، وَأَجَازَ النَّحْوِيُّونَ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ (فَلَا مُمْسِكَ لَهُ) عَلَى لَفْظِ (مَا) وَ(لَهَا) عَلَى الْمَعْنَى. وَأَجَازُوا (وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا) وَأَجَازُوا (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) (بِالرَّفْعِ) تَكُونُ (مَا) بِمَعْنَى الَّذِي. أَيْ أَنَّ الرُّسُلَ بُعِثُوا رَحْمَةً لِلنَّاسِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِرْسَالِهِمْ غَيْرُ اللَّهِ."

(ما) و(من)، يعاد الضمير إليهما بالإفراد والجمع، بالتذكير والتأنيث، بناءً على اللفظ والمعنى.

"وَقِيلَ: مَا يَأْتِيهِمْ بِهِ اللَّهُ مِنْ مَطَرٍ أَوْ رِزْقٍ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُمْسِكَهُ، وَمَا يُمْسِكُ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُرْسِلَهُ. وَقِيلَ: هُوَ الدُّعَاءُ: قَالَهُ الضَّحَّاكُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ تَوْبَةٍ. وَقِيلَ: مِنْ تَوْفِيقٍ وَهِدَايَةٍ. قُلْتُ: وَلَفْظُ الرَّحْمَةِ يَجْمَعُ ذَلِكَ إِذْ هِيَ مُنَكَّرَةٌ لِلْإِشَاعَةِ وَالْإِبْهَامِ."

نعم؛ لأن النكرة من صيغ العموم، النكرة من صيغ العموم، لاسيما إذا وقعت في سياق النفي.

"فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِكُلِّ رَحْمَةٍ عَلَى الْبَدَلِ، فَهُوَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ مَا ذُكِرَ. وَفِي مُوَطَّأِ مَالِكٍ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ وَقَدْ مُطِرَ النَّاسُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ الْفَتْحِ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)."

ونوع الفتح، ليس المراد به نجم معين، أو كوكب معين، لا، إنما يراد به ما يدل عليه قوله- جلّ وعلا – "ما يفتح الله للناس"؛ يعني فتح الله – جلّ وعلا-.

"(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تَقَدَّمَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} مَعْنَى هَذَا الذِّكْرِ الشُّكْرُ. {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}."

يعني؛ ليس بمجرد ذكر وتحدث، الذكر والتحدث بالنعم لاشك أنه من شكر الله – جلّ وعلا– من شكر الله – جلّ وعلا– ومن حمده، أن تتحدث بهذه النعمة، ظاهرًا، في المجالس، تذكر الناس بها، كما أنك تعترف بها باطنًا، وتستعملها في ما يرضي الله– جلّ وعلا–.

"{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} يَجُوزُ فِي غَيْرِ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْخَفْضِ، فَالرَّفْعُ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى هَلْ مِنْ خَالِقٍ إِلَّا اللَّهُ؛ بِمَعْنَى مَا خَالِقٌ إِلَّا اللَّهُ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ نَعْتًا عَلَى الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: هَلْ خَالِقٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَ(مِنْ) زَائِدَةٌ. وَالنَّصْبُ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ. وَالْخَفْضُ عَلَى اللَّفْظِ."

(من) زائدة، هل من؟ الأصل، هل خالق غير الله؟ ومراد بالزيادة هنا، الزيادة بحيث لو حذفت استقام الكلام، ولكنها تفيد التأكيد، إذ القرآن كما هو مقطوع به، مصون من الزيادة والنقصان، لا يقول قائل: مادامت زائدة نحذفها، لا، لو أنكرها منكر لكفر، نسأل الله العافية.

"قَالَ حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ: مَنْ خَلَقَ الشَّرَّ؟ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ – جَلَّ وَعَزَّ– خَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ) بِالْخَفْضِ. الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ."

هذا فيه رد على المعتزلة القدرية النفاة، الذين يثبتون خالقًا مع الله – جلّ وعلا– يجعلون الله – جلّ وعلا – يخلق الخير، والإنسان يخلق فعله، من، ويجعلون خالق مع الله – جلّ وعلا– والشر لا ينسبونه إلى الله، نعم هو نسبة لفظ، يتأدب الإنسان أن ينسب الشر إلى الله – جلّ وعلا– كما قال النبي – عليه الصلاة والسلام– ‹‹والشر ليس إليك›› وإلا فالأصل أن الكل مخلوق لله –جلّ وعلا– سواء إن كان خيرًا أو شرًا، مع أن الله – جل وعلى– لا يخلق شرًا محضًا، بل لما يترتب عليه من ابتلاء وامتحان.

فالله – جلّ وعلا– هو الخالق، **(هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ)** استفهام تقرير ويتضمن شيئًا من الإنكار على من يثبت ذلك، على من ينفي ذلك، كالمعتزلة القدرية الذي سموا مجوس هذه الأمة، حيث أثبتوا مع الله – جلّ وعلا– خالقًا، كما تقول المجوس.

"(يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) أَيِ الْمَطَرَ. (وَالْأَرْضِ) أَيِ النَّبَاتَ. {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} مِنَ الْأَفْكِ (بِالْفَتْحِ) وَهُوَ الصَّرْفُ؛ يُقَالُ: مَا أَفَكَكَ عَنْ كَذَا؟ أَيْ مَا صَرَفَكَ عَنْهُ؟ وَقِيلَ: مِنَ الْإِفْكِ (بِالْكَسْرِ) وَهُوَ الْكَذِبُ، وَيَرْجِعُ هَذَا إِلَى مَا تَقَدَّمَ؛ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مَصْرُوفٌ عَنِ الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ، أَيْ مِنْ أَيْنَ يَقَعُ لَكُمُ التَّكْذِيبُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ. وَالْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ لِأَنَّهُ نَفَى خَالِقًا غَيْرَ اللَّهِ وَهُمْ يُثْبِتُونَ مَعَهُ خَالِقِينَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ."

لأنهم يرون أن كل إنسان يخلق فعله. نعم، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:٩٦] .

طالب: سؤال يا شيخ، إذا كانوا يقولون مع الله خالق، من الذي خلق الخالق الذي مع الله سبحانه؟ ما هو جوابهم على هذا؟

لا، هم يقولون: إن العبد يخلق فعله، العبد يخلق فعله.

يسمى خلق؟

أي عندهم هذا، هذا مذهبهم، هذا الضلال بعينه، نسأل الله العافية .

"**قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ} يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ. {فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} يُعَزِّي نَبِيَّهُ وَيُسَلِّيهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلِيَتَأَسَّى بِمَنْ قَبْلَهُ فِي الصَّبْرِ. {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} قَرَأَ الْحَسَنُ، وَالْأَعْرَجُ، وَيَعْقُوبُ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو حَيْوَةَ، وَابْنُ مُحَيْصِنٍ، وَحُمَيْدٌ، وَالْأَعْمَشُ، وَحَمْزَةُ، وَيَحْيَى، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفُ (بِفَتْحِ التَّاءِ) عَلَى أَنَّهُ مُسَمَّى الْفَاعِلِ. وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} والْبَاقُونَ (تُرْجَعُ) عَلَى الْفِعْلِ لِلْمَجْهُولِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} هَذَا وَعْظٌ لِلْمُكَذِّبِينَ لِلرَّسُولِ بَعْدَ إِيضَاحِ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ: إِنَّ الْبَعْثَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ حَقٌّ. {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: غُرُورُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ يَشْتَغِلَ الْإِنْسَانُ بِنَعِيمِهَا وَلَذَّاتِهَا عَنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ."**

يعني، ينصرف عن ما خلق من أجله، إلى أمور الدنيا، كما هو حال كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، يعني الأصل أنه خلق لتحقيق العبودية، ويخشي من انهماكه في هذا الهدف، أن ينسى ما يعينه على تحقيقه، فاحتاج إلى التذكير، فقيل له: {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص:٧٧].

والآن بل منذ أزمان متطاولة، والناس انشغلوا بدنياهم، وغفلوا عن ما خلقوا له، فاحتاجوا أن يقال لهم، أو للواحد منهم، "ولا تنس نصيبك من الآخرة"، أما من الدنيا هم بصدد تحصيله، ويوجد ولله الحمد، من يحقق العبودية، ويوجد من ينصرف للآخرة، والحمد لله، الخير موجود، نعم، لكن الكلام عن الكثرة .

"**حَتَّى يَقُولَ: { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي. وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ وَأَبُو حَاتِمٍ: الْغَرُورُ الشَّيْطَانُ. وَغُرُورٌ جَمْعُ غَرٍّ، وَغَرٌّ مَصْدَرٌ. وَيَكُونُ الْغُرُورُ مَصْدَرًا وَهُوَ بَعِيدٌ عِنْدَ غَيْرِ أَبِي إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ (غَرَرْتُهُ) مُتَعَدٍّ، وَالْمَصْدَرُ الْمُتَعَدِّي إِنَّمَا هُوَ عَلَى فَعْلٍ؛ نَحْوُ: ضَرَبْتُهُ ضَرْبًا."**

نعم، الفعل الثلاثي، إذا كان متعديًا، مصدره الفعل؛ "ضرب ضربًا"، فَعْلٌ قِياسُ مَصْدَرِ المعَدَّي مِنْ ذِي ثَلاثَةٍ كَرَدَّ رَدًا، وهنا متعدي وجعله غرور، مصدر غرور، مصدر غر، الأصل أن يقال: "غر غرًا"، "فعل فعلاً"، مثل "ضرب ضربًا".

"**إِلَّا فِي أَشْيَاءَ يَسِيرَةٍ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا؛ قَالُوا: لَزِمْتُهُ لُزُومًا، وَنَهَكَهُ الْمَرَضُ نُهُوكًا."**

فإذا كان هذا منه، من هذا القليل النادر، فلا بأس، وإلا فالأصل أن الفعل الثلاثي المتعدي، مصدره الفعل.

"فَأَمَّا مَعْنَى الْحَرْفِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ مَا قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: الْغُرُورُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ الْغَرُورُ (بِفَتْحِ الْغَيْنِ) وَهُوَ الشَّيْطَانُ؛ أَيْ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِوَسَاوِسِهِ فِي أَنَّهُ يَتَجَاوَزُ عَنْكُمْ لِفَضْلِكُمْ."

يعني لمزيةٍ عندكم، الخلق بالنسبة إلى الله – جلّ وعلا– سواء، والسنن الإلهية في الأمم السابقة، واللاحقة واحدة لا تتغير ولا تتبدل.

"وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ وَأَبُو السَّمَّالِ الْعَدَوِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ السَّمَيْقَعِ، الْغُرُورُ (بِرَفْعِ الْغَيْنِ) وَهُوَ الْبَاطِلُ؛ أَيْ لَا يَغُرَّنَّكُمُ الْبَاطِلُ. وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: وَالْغُرُورُ(بِالضَّمِّ) مَا اغْتُرَّ بِهِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغُرُورُ جَمْعَ غَارٍّ؛ مِثْلُ قَاعِدٍ وَقُعُودٍ. قَالَ النَّحَّاسُ: أَوْ جَمْعَ غَرٍّ، أَوْ يُشَبَّهُ بِقَوْلِهِمْ: نَهَكَهُ الْمَرَضُ نُهُوكًا وَلَزِمَهُ لُزُومًا. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: أَوْ مَصْدَرَ(غَرَّهُ) كَاللُّزُومِ وَالنُّهُوكِ."

يعني على خلاف القاعدة المضطردة في المصدر الثلاثي المتعدي، يكون منها القليل، النادر الذي خرج عن هذه القاعدة، كاللزوم والنهوك.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} أَيْ فَعَادُوهُ وَلَا تُطِيعُوهُ. وَيَدُلُّكُمْ عَلَى عَدَاوَتِهِ إِخْرَاجُهُ أَبَاكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَضَمَانُهُ إِضْلَالَكُمْ فِي قَوْلِهِ: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} الْآيَةَ. وَقَوْلُهُ: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} الْآيَةَ. فَأَخْبَرَنَا –جَلَّ وَعَزَّ– أَنَّ الشَّيْطَانَ لَنَا عَدُوٌّ مُبِينٌ؛ وَاقْتَصَّ عَلَيْنَا قِصَّتَهُ، وَمَا فَعَلَ بِأَبِينَا آدَمَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–."

ومع ذلك، الله– جلّ وعلا– سماه عدو، وأمرنا باتخاذه عدوًا، وكثير من المسلمين، ممن يؤمن بهذا الكتاب، ولا يشك فيه، ولا يرتاب فيه، يتخذه صديقًا، يطيعه إذا أمر، ويوافقه في ما يزين له ويسول له، مع أنه عدو، بل هو العدو الحقيقي.

"وَكَيْفَ انْتَدَبَ لِعَدَاوَتِنَا وَغُرُورِنَا مِنْ قَبْلِ وُجُودِنَا وَبَعْدَهُ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ نَتَوَلَّاهُ وَنُطِيعُهُ فِيمَا يُرِيدُ مِنَّا مِمَّا فِيهِ هَلَاكُنَا. وَكَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ يَقُولُ: يَا كَذَّابُ يَا مُفْتَرِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسُبَّ الشَّيْطَانَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَأَنْتَ صَدِيقُهُ فِي السِّرِّ. وَقَالَ ابْنُ السَّمَّاكِ: يَا عَجَبًا لِمَنْ عَصَى الْمُحْسِنَ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِإِحْسَانِهِ! وَأَطَاعَ اللَّعِينَ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِعَدَاوَتِهِ! وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي (الْبَقَرَةِ) مُجَوَّدًا. وَ(عَدُوٌّ) فِي قَوْلِهِ: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ} يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مُعَادٍ، فَيُثَنَّى وَيُجْمَعُ وَيُؤَنَّثُ."

باعتبار أنه اسم فاعل، معادي، من، معادي اسم فعل من المفاعلة، من المعاداة، وإذا كان مصدر، لا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث.

"وَيَكُونُ بِمَعْنَى النَّسَبِ فَيَكُونُ مُوَحَّدًا بِكُلِ حَالٍ؛ كَمَا قَالَ – جَلَّ وَعَزَّ–: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي}."

يعني هم جماعة، {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي}، نعم.

"وَفِي الْمُؤَنَّثِ عَلَى هَذَا أَيْضًا عَدُوٌّ. قَالَ النَّحَّاسُ: فَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ إِنَّ الْوَاوَ خَفِيَّةٌ فَجَاءُوا بِالْهَاءِ فَخَطَأٌ، بَلِ الْوَاوُ حَرْفٌ جَلْدٌ. {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ}."

يعني؛ ليست خفية، بل هي ظاهرة، نعم .

"{إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ} كَفَّتْ (مَا) (إِنَّ) عَنِ الْعَمَلِ فَوَقَعَ بَعْدَهَا الْفِعْلُ. "حِزْبَهُ" أَيْ أَشْيَاعَهُ.{لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} فَهَذِهِ."

(الما) الداخلة على إن وأخواتها، تكفها عن العمل، تقول: إنما زيدٌ، وكأنما زيدٌ، نعم.

"{الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} يَكُونُ (الَّذِينَ) بَدَلًا مِنْ (أَصْحَابِ) فَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ، أَوْ يَكُونُ بَدَلًا مِنْ حِزْبِهِ فَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، أَوْ يَكُونُ بَدَلًا مِنَ الْوَاوِ فَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ وَقَوْلٌ رَابِعٌ وَهُوَ أَحْسَنُهَا يَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ وَيَكُونُ خَبَرُهُ {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}؛ وَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَ حَالَ مُوَافَقَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ قَدْ تَمَّ فِي قَوْلِهِ: {مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} في موضع رفع بالابتداء أيضا، وخبره {لهم مغفرة} أي لذنوبهم. {وأجر كبير} وهو الجنة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} (مَنْ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالِابْتِدَاءِ، وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} فَالْمَعْنَى: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ذَهَبَتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ. قَالَ: وَهَذَا كَلَامٌ عَرَبِيٌّ طَرِيفٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ عَنِ الزَّجَّاجِ. قَالَ النَّحَّاسُ: وَالَّذِي قَالَهُ الْكِسَائِيُّ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْآيَةِ، لِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَحْذُوفِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَزَّ- نَهَى نَبِيَّهُ عَنْ شِدَّةِ الِاغْتِمَامِ بِهِمْ وَالْحُزْنِ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ -جَلَّ وَعَزَّ-: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}."

قاتل؛ قاتل نفسك، نعم، هذا من حرصه- عليه الصلاة والسلام- على إسلام قومه، ومن أرسل إليهم، لكن الذي عليه بذل السبب، والنتائج بيد الله – جلّ وعلا- وهكذا وظيفة أتباعه من الدعاة والعلماء، عليهم البلاغ، ويحرصون على هداية الناس من باب ‹‹لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم›› ومحبة الخير للمسلمين ‹‹لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه›› لكن لا يصل إلى حد أن يقتل الإنسان نفسه إذا لم يستجاب له.

النتائج بيد الله- جلّ وعلا- ‹‹والنبي يأتي وليس معه أحد››، كما في الحديث الصحيح، الإنسان إذا بذل ما عليه، بذل السبب الذي أمر به ثبت أجره، ولو لم يستجاب له، ويستوي ذلك، الدعوة والأمر والنهي، والتعليم أيضًا، وغير ذلك، عليه أن يبذل، ‹‹إنما أنا قاسمٌ والله معطي›› كما قال النبي – عليه الصلاة والسلام-.

"قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: قَاتِلٌ. قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ: سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَهْلِ الْيَمَنِ: هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا وَأَنْجُعُ طَاعَةً مَا مَعْنَى."

أبخع، أبخع.

أبخع؟

نعم

"هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا وأَبْخَعَ طَاعَةً مَا مَعْنَى أَبْخَعَ؟ فَقَالَ: أَنْصَحُ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَهْلَ التَّفْسِيرِ مُجَاهِدًا وَغَيْرَهُ يَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}: مَعْنَاهُ قَاتِلٌ نَفْسَكَ. فَقَالَ: هُوَ مِنْ ذَاكَ بِعَيْنِهِ، كَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ النُّصْحِ لَهُمْ قَاتِلٌ نَفْسَهُ. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ؛ مَجَازُهُ: أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَقِيلَ: الْجَوَابُ مَحْذُوفٌ؛ الْمَعْنَى أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ كَمَنْ هُدِيَ، وَيَكُونُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَحْذُوفِ (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)."

يعني وجود المقابلة بين الهداية والضلال، يدل على أن من زين له سوء عمله له مقابل، له مقابل أيضًا، كالمقابلة في (يضل من يشاء ويهدي من يشاء)، فإذا كان من زين له سوء عمله فله حسنه، هذا من أهل الضلال، فمن هداه الله في قوله: (ويهدي من يشاء)، لابد أن يكون مقدمًا في الآية لتتم المقابلة في الطرفين.

"وَقَرَأَ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ: (فَلَا تُذْهِبْ نَفْسَكَ)، وَفِي {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ، أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسُ؛ قَالَهُ أَبُو قِلَابَةَ. وَيَكُونُ (سُوءُ عَمَلِهِ) مُعَانَدَةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. الثَّانِي: أَنَّهُمُ الْخَوَارِجُ؛ رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الْقَاسِمِ. فَيَكُونُ (سُوءُ عَمَلِهِ) تَحْرِيفَ التَّأْوِيلِ. الثَّالِثُ: الشَّيْطَانُ؛ قَالَهُ الْحَسَنُ. وَيَكُونُ (سُوءُ عَمَلِهِ الْإِغْوَاءُ). الرَّابِعُ: كُفَّارُ قُرَيْشٍ؛ قَالَهُ الْكَلْبِيُّ. وَيَكُونُ (سُوءُ عَمَلِهِ الشِّرْكُ). وَقَالَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَالْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ. {فَرَآهُ حَسَنًا} أَيْ صَوَابًا؛ قَالَهُ الْكَلْبِيُّ. وَقِيلَ: جَمِيلًا .

قُلْتُ: وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْمُرَادَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَظْهَرُ الْأَقْوَالِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ}، وَقَوْلِهِ: {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}، وَقَوْلِهِ: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}، وَقَوْلِهِ: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}."

يعني وإن كان هذا القول أظهر الأقوال، أنها في مشركي قريش الذين دعاهم النبي -عليه الصلاة والسلام- وحرص على إجابتهم، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب فهي تتناولهم، وتتناول من يجيئوا بعدهم، وتتناول من زيّن له سوء عمله في الأمر العظيم من الشرك وغيره، وما دون ذلك.

(فمن زين له سوء عمله) عمله السيئ، سوء عمله من إضافة الموصوف إلى الصفة، سوء عمله؛ يعني عمله السيئ، ويدخل في ذلك الشرك وما دونه، نعم. من البدع والمعاصي، كلها، نعم.

"وَقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}، وَهَذَا ظَاهِرٌ بَيِّنٌ، أَيْ لَا يَنْفَعُ تَأَسُّفُكَ عَلَى مُقَامِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ أَضَلَّهُمْ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرُدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ قَوْلَهُمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ؛

أَيْ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا تُرِيدُ أَنْ تَهْدِيَهُ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَيْكَ، وَالَّذِي إِلَيْكَ هُوَ التَّبْلِيغُ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ وَشَيْبَةُ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ: (فَلَا تُذْهِبْ) بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الْهَاءِ (نَفْسَكَ) نَصْبًا عَلَى الْمَفْعُولِ، وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ. (حَسَرَاتٍ) مَنْصُوبٌ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ؛ أَيْ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ لِلْحَسَرَاتِ. وَ(عَلَيْهِمْ) صِلَةُ تَذْهَبُ، كَمَا تَقُولُ: هَلَكَ عَلَيْهِ حُبًّا وَمَاتَ عَلَيْهِ حُزْنًا. وَهُوَ بَيَانٌ لِلْمُتَحَسَّرِ عَلَيْهِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْحَسَرَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ صِلَتُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا كَأَنْ كلها صَارَتْ (حَسَرَاتٍ) لِفَرْطِ التَّحَسُّرِ؛ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

مَشَقَ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهُنَّ مَعَ السُّرَى
حَتَّى ذَهَبْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورَا

يُرِيدُ: رَجَعْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورًا؛ أَيْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا كَلَاكِلُهَا وَصُدُورُهَا. وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

فَعَلَى إِثْرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي
حَسَرَاتٍ وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَامُ

أَوْ مَصْدَرًا. {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}."

يعني وعليهم صلة، صلة تذهب جار ومجرور متعلق بتذهب، وليس يتعلق بحسرات، على ما بينه المفسر، نعم.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ} مَيِّتٌ وَمَيْتٌ وَاحِدٌ، وَكَذَا مَيِّتَةٌ وَمَيْتَةٌ؛ هَذَا قَوْلُ الْحُذَّاقِ مِنَ النَّحْوِيِّينَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: هَذَا قَوْلُ الْبَصْرِيِّينَ، وَلَمْ يَسْتَثْنِ أَحَدًا، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِدَلَائِلَ قَاطِعَةٍ. وَأَنْشَدَ:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيبًا
كَاسِفًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ"

لأنه جاء في البيت بميّت، وميْت، والمراد واحد، وإن كان بعضهم يفرق بين ميّت، وميْت، لأن ميْت بالتخفيف من مات بالفعل، وميّت من سيموت، {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}[الزمر: ٣٠] لكن يرد على هذا وهذا مثل هذا البيت، نعم.

"قَالَ: فَهَلْ تَرَى بَيْنَ مَيِّتٍ وَمَيْتٍ فَرْقًا، وَأَنْشَدَ:

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ بَنُو يَسَرٍ
سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

قَالَ: فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَيْنُونَ وَلَيْنُونَ وَاحِدٌ، وَكَذَا مَيِّتٌ وَمَيْتٌ، وَسَيِّدٌ وَسَيْدٌ. قَالَ: فَسُقْنَاهُ بَعْدَ أَنْ."

أجمعوا على أن هينون ولينون واحد، لكن هل هيْن وليْن، مثل هيّن وليّن؟ العرب تمدح بالمخفف، وتذم بالمشدد، في هيّن هيْن وهيّن، ماذا هنا أراد؟ هونًا، هونًا من هيْن، من هذا المخفف.

أما الهيّن من الهوان، هو الضعف، والضعة هذا ما يذم به، فهناك فرق بين هيْن وهيّن، أما ميّت وميْت قد يكون الفرق أغلبي لا كلي، وما يرد عليه مما ذكر في البيت ونحوه، هذا يكون ما خرج عن الغالب، نعم. سيّد، وسيْد، هذه مخففة، منها مشددة، وهناك السيد، ابن السيد البطليوسي مثلاً قالوا: "السيْد" بلغة أهل الأندلس، الذئب.

"قَالَ: فَسُقْنَاهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ} وَهُوَ مِنْ بَابِ تَلْوِينِ الْخِطَابِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: سَبِيلُهُ (فَتَسُوقُهُ)، لِأَنَّهُ قَالَ: فَتُثِيرُ سَحَابًا.قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَاءَ فَتُثِيرُ عَلَى الْمُضَارَعَةِ دُونَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ؟ قُلْتُ: لِتَحْكِيَ الْحَالَ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا إِثَارَةُ الرِّيَاحِ السَّحَابَ، وَتَسْتَحْضِرُ تِلْكَ الصُّورَةَ الْبَدِيعَةَ الدَّالَّةَ عَلَى الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ؛ وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ بِفِعْلٍ فِيهِ نَوْعُ تَمْيِيزٍ وَخُصُوصِيَّةٍ بِحَالٍ تُسْتَغْرَبُ، أَوْ تُهِمُّ الْمُخَاطَبَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ تَأَبَّطَ شَرًّا :

بِـــــأَنِّي قَـــــدْ لَقِيـــــتُ الْغُـــــولَ تَهْـــــوِي
بِسَـــــــهْبٍ كَالصَّـــــــحِيفَةِ صَحْصَـــــــحَانِ
فَأَضْـــــــرِبُهَا بِـــــــلَا دَهَـــــــشٍ فَخَـــــــرَّتْ
صَـــــــرِيعًا لِلْيَـــــــدَيْنِ وَلِلْجِـــــــرَانِ

لِأَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يُصَوِّرَ لِقَوْمِهِ الْحَالَةَ الَّتِي تَشَجَّعَ فِيهَا بِزَعْمِهِ عَلَى ضَرْبِ الْغُولِ، كَأَنَّهُ يُبَصِّرُهُمْ إِيَّاهَا، وَيُطْلِعُهُمْ عَلَى كُنْهِهَا مُشَاهَدَةً لِلتَّعَجُّبِ مِنْ جُرْأَتِهِ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ، وَثَبَاتِهِ عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ وَكَذَلِكَ سَوْقُ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ الْمَيِّتِ."

لأنه يقول لقيت، لقيت الغول، هذا فعل ماضي، مقتضى ذلك أن يقول فضربتها، لكنه يريد أن تستمر هذه الصورة في أذهانهم، لأن المضارع للحال، والاستقبال، فيستصحبون هذه الصورة في الحال والاستقبال، لا يريد أن تكون فعل ماضي وانتهى، وإنما يريد أن يصور هذه الصورة أنها مستمرة، وهذا للمبالغة، يقول: فأضربها بلا دهش فخرت.

والأصل أن يقول: ضربتها بلا دهش فخرت، لكنه يريد أن يستصحبوا هذا الفعل وكأنه مازال يفعل مثل هذا، في الحال والاستقبال، فعبر بذلك بدلاً من الماضي، بالمضارع.

"وَكَذَلِكَ سَوْقُ السَّحَابِ إِلَى الْبَلَدِ الْمَيِّتِ لَمَّا كَانَا مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ قِيلَ: (فَسُقْنَا) وَ (أَحْيَيْنَا) مَعْدُولًا بِهِمَا عَنْ لَفْظَةِ الْغَيْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَدْخَلُ فِي الِاخْتِصَاصِ وَأَدَلُّ عَلَيْهِ."

وإلا فالأصل (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا) الله.

فساقه.

نعم، فساقه إلى بلدٍ ميْت، فأحييا به، لكنه يريد أن يذكر بأنه – جلّ وعلا– هو الذي ساقه، وأنه هو الذي أحيا به الأرض، فعدل بالكلام من الغيبة إلى التكلم، نعم.

"**وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ (الرِّيَاحَ). وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ وَابْنُ كَثِيرٍ وَالْأَعْمَشُ وَيَحْيَى وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (الرِّيحَ) تَوْحِيدًا. وَقَدْ مَضَى بَيَانُ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْكَلَامُ فِيهَا مُسْتَوْفًى. {كَذَلِكَ النُّشُورُ}**".

يعني الفرق بين الريح مفردة، والرياح مجموعة، أن الرياح محمودة، كثرة الرياح يرد بعضها بعضًا، هذه محمودة، أما الريح مفردة، فهي في الغالب أنها مذمومة.

وجاء في الدعاء ‹‹اللهم اجعلها رياحًا، ولا تجعلها ريحًا››، إلا في موضع واحد؛ يعني حينما تسوق السفن، في البحار، فالمطلوب أن تكون مفردة، لا مجموعة، لأنها لو كانت مجموعة، رياح متعارضة ومتضادة، واحدة من اليمين، وواحدة من الشمال، واحدة من الأمام، وواحدة من الخلف، لاضطربت هذه السفن، لكن لما تكون ريح واحدة، تسوقها من الخلف إلى الأمام، صارت...

محمودة .

أنفع، نعم .

"**{كَذَلِكَ النُّشُورُ}؛ أَيْ كَذَلِكَ تَحْيَوْنَ بَعْدَمَا**."

{إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}[الشورى:٣٣] ، نعم.

"**{كَذَلِكَ النُّشُورُ}؛ أَيْ كَذَلِكَ تَحْيَوْنَ بَعْدَمَا مُتُّمْ؛ مِنْ نَشْرِ الْإِنْسَانِ نُشُورًا. فَالْكَافُ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ؛ أَيْ مِثْلُ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ نَشْرُ الْأَمْوَاتِ. وَعَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: ‹‹أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مُمْحِلًا ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟›› قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: ‹‹فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَتِلْكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ›› وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْخَبَرَ فِي (الْأَعْرَافِ) وَغَيْرِهَا**."

أخرجه هنا ولا ماذا؟

"**قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} التَّقْدِيرُ عِنْدَ الْفَرَّاءِ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ عِلْمَ الْعِزَّةِ. وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. أَيْ مَنْ كَانَ يُرِيدُ عِلْمَ الْعِزَّةِ الَّتِي لَا ذِلَّةَ مَعَهَا؛ لِأَنَّ الْعِزَّةَ إِذَا كَانَتْ تُؤَدِّي إِلَى ذِلَّةٍ فَإِنَّمَا هِيَ تَعَرُّضٌ لِلذِّلَّةِ، وَالْعِزَّةُ الَّتِي لَا ذُلَّ مَعَهَا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–**."

ولا يمنع، ولا يمنع أن يكون المراد بالعزة العز، العز، وإن كان المراد به اللائق بالمخلوق، ويريده الإنسان لنفسه، يريد العزة لنفسه، فهذه العزة بيد الله – جلّ وعلا– هي لله جميعًا، فاطلبها منه، وابذل الأسباب التي تجعلك مستحقًا لها، فتوهب منها من الله– جلّ وعلا– ما تستحقه، إذا كانت بيده، بيد الله – جل وعلى– هذه العزة، المطلوبة للمخلوق؛ من قبل المخلوق، فكيف تطلب من غيره؟ كيف تطلب من غيرة؟ من طلب العزة من غير الله أذله الله– جلّ وعلا– من طلبها من الله صادقًا، مستعملاً الوسائل المقربة إلى الله– جلّ وعلا– المرضية له، أعطاه من هذا العز.

"(جَمِيعًا) مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ. وَقَدَّرَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعِبَادَتِهِ اللَّهَ- عَزَّ وَجَلَّ- الْعِزَّةَ - وَالْعِزَّةُ لَهُ سُبْحَانَهُ - فَإِنَّ اللَّهَ-عَزَّ وَجَلَّ- يُعِزُّهُ فِي الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا. قُلْتُ: وَهَذَا أَحْسَنُ، وَرُوِيَ مَرْفُوعًا عَلَى مَا يَأْتِي {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} ظَاهِرُ هَذَا إِيئَاسُ السَّامِعِينَ مِنْ عِزَّتِهِ، وَتَعْرِيفِهِمْ أَنَّ مَا وَجَبَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِغَيْرِهِ؛ فَتَكُونُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلْعَهْدِ عِنْدَ الْعَالِمِينَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَبِمَا وَجَبَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ قَوْلِهِ الْحَقِّ فِي سُورَةِ يُونُسَ: {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ}. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُنَبِّهَ ذَوِي الْأَقْدَارِ وَالْهِمَمِ مِنْ أَيْنَ تُنَالُ الْعِزَّةُ وَمِنْ أَيْنَ تُسْتَحَقُّ؛ فَتَكُونُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ لِلِاسْتِغْرَاقِ، وَهُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ. فَمَنْ طَلَبَ الْعِزَّةَ مِنَ اللَّهِ وَصَدَقَهُ فِي طَلَبِهَا بِافْتِقَارٍ وَذُلٍّ، وَسُكُونٍ وَخُضُوعٍ، وَجَدَهَا عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَحْجُوبَةٍ عَنْهُ؛ قَالَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ». وَمَنْ طَلَبَهَا مِنْ غَيْرِهِ وَكَلَهُ إِلَى مَنْ طَلَبَهَا عِنْدَهُ. وَقَدْ ذَكَرَ قَوْمًا طَلَبُوا الْعِزَّةَ عِنْدَ مَنْ سِوَاهُ فَقَالَ: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}. فَأَنْبَأَكَ صَرِيحًا لَا إِشْكَالَ فِيهِ أَنَّ الْعِزَّةَ لَهُ يُعِزُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ. وَقَالَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُفَسِّرًا لِقَوْلِهِ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}: «مَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِعِ الْعَزِيزَ». وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الزَّجَّاجِ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

وَإِذَا تَـــــــــذَلَّلَتِ الرِّقَـــــــــابُ تَوَاضُـــــــــعًا
مِنَّـــــــا إِلَيْـــــــكَ فَعِزُّهَـــــــا فِـــــــي ذُلِّهَـــــــا

فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ لِيَنَالَ الْفَوْزَ الْأَكْبَرَ، وَيَدْخُلَ دَارَ الْعِزَّةِ- وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ- فَلْيَقْصِدْ بِالْعِزَّةِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَالِاعْتِزَازَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اعْتَزَّ بِالْعَبْدِ أَذَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنِ اعْتَزَّ بِاللَّهِ أَعَزَّهُ اللَّهُ."

"قَوْلُهُ تَعَالَى"

هذا الحديث مخرّج؟

طالب:.....

نعم، هو لا يثبت مرفوعا، لكن معناه؟

صحيح .

صحيح، معناه صحيح.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} فِيهِ مَسْأَلَتَانِ: الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} وَتَمَّ الْكَلَامُ. ثُمَّ تَبْتَدِئُ {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} عَلَى مَعْنَى: يَرْفَعُهُ اللَّهُ، أَوْ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ؛ فَيَكُونُ الْكَلَامُ مُتَّصِلًا عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ. وَالصُّعُودُ هُوَ الْحَرَكَةُ إِلَى فَوْقُ، وَهُوَ الْعُرُوجُ أَيْضًا. وَلَا يُتَصَوَّرُ..."

يعني الخلاف في مرجع الضمير في "يرفعه"، من الذي يرفع العمل الصالح؟ هل الذي يرفعه الكلم الطيب؟ أو الذي يرفعه الله – جلّ وعلا–؟ ولكن الذي يرفع، والذي يضع، والذي يخفض، والذي...هو الله– جلّ وعلا–حقيقةً، قد يكون غيره لسبب يجريه الله–جلّ وعلا– ، لكن الرافع الحقيقي هو الله– جلّ وعلا–.

"وَلَا يُتَصَوَّرُ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ لِأَنَّهُ عَرَضٌ، لَكِنْ ضُرِبَ صُعُودُهُ مَثَلًا لِقَبُولِهِ؛ لِأَنَّ مَوْضِعَ الثَّوَابِ فَوْقُ، وَمَوْضِعَ الْعَذَابِ أَسْفَلُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ ارْتَفَعَ الْأَمْرُ إِلَى الْقَاضِي أَيْ عَلِمَهُ؛ فَهُوَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ. وَخُصَّ الْكَلَامُ وَالطِّبُّ بِالذِّكْرِ لِبَيَانِ الثَّوَابِ عَلَيْهِ."

كلام المؤلف، انفرار من إثبات لصفة العلو لله – جلّ وعلا– لأنه يقول الصعود، هو الحركة إلى فوق، وهو العروج، ولا يتصور ذلك بالكلام؛ لأنه عرض؛ فالله–جلّ وعلا– عال على خلقِه، مستوٍ على عرشِه، بائنٌ من خلقه، إليه يصعد الكلام الطيب، تعرج الملائكة والروح، المقصود أن الأدلة على العلو أكثر من تحصر، لا يمكن حصرها.

وابن القيم – رحمه الله– استوفى كثيرًا منها في نونيته وفي الصواعق وغيرها، والمقصود أن هؤلاء يرون أنه ليس في جهة من الجهات، ينفون عنه الجهة، ولا شك أن مثل هذا مخالف لما جاء عن الله وعن رسوله وعن معتقد سلف هذه الأمة، ونفي الجهة، لفْظ مجمل، إن يريد به، جهة العلو، فهذا كلام ليس بصحيح، مصادم لنصوص الكتاب والسنة، وإن قصد به نفي الجهة أن الجهة تحيط به، وتقله، وتحصره هذا كلام صحيح، نعم.

"وَقَوْلُهُ: (إِلَيْهِ) أَيْ إِلَى اللَّهِ (يَصْعَدُ). وَقِيلَ: يَصْعَدُ إِلَى سَمَائِهِ وَالْمَحَلِّ الَّذِي لَا يَجْرِي فِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ حُكْمٌ. وَقِيلَ: أَيْ يُحْمَلُ الْكِتَابُ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ طَاعَاتُ الْعَبْدِ إِلَى السَّمَاءِ. وَ(الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) هُوَ التَّوْحِيدُ الصَّادِرُ عَنْ عَقِيدَةٍ طَيِّبَةٍ. وَقِيلَ: هُوَ التَّحْمِيدُ وَالتَّمْجِيدُ، وَذِكْرُ اللَّهِ وَنَحْوُهُ. وَأَنْشَدُوا:

لَا تَـــــرْضَ مِـــــنْ رَجُـــــلٍ حَـــــلَاوَةَ قَوْلِـــــهِ

حَتَّـــــى يُـــــزَيِّنَ مَـــــا يَقُـــــولُ فَعَـــــالُ

فَـــــإِذَا وَزَنْـــــتَ فَعَالَـــــهُ بِمَقَالِـــــهِ

فَتَوَازَنَا فَإِخَاءُ ذَاكَ جَمَالُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ، كَثَرِيدٍ بِلَا دَسَمٍ، وَسَحَابٍ بِلَا مَطَرٍ، وَقَوْسٍ بِلَا وَتَرٍ. وَفِيهِ قِيلَ:

لَا يَكُـــــونُ الْمَقَـــــالُ إِلَّا بِفِعْـــــلِ

كُـــــلُّ قَـــــوْلٍ بِـــــلَا فَعَـــــالٍ هَبَـــــاء

إِنَّ قَـــــوْلًا بِـــــلَا فَعَـــــالٍ جَمِيـــــلِ

وَنِكَاحًـــــا بِـــــلَا وَلِـــــيٍّ سَـــــوَاءُ"

هذا جاء على مذهب الجمهور الذين يشترطون الولي، أما من لا يشترط الولي في النكاح لا تتم المطابقة.

"وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ (يُصْعِدُ) بِضَمِّ الْيَاءِ. وَقَرَأَ جُمْهُورُ النَّاسِ (الْكَلِمُ) جَمْعُ كَلِمَةٍ. وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ (الْكَلَامُ). قُلْتُ: فَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا قَدْ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْكَلِمِ وَبِالْعَكْسِ؛ وَعَلَيْهِ يُخَرَّجُ قَوْلُ أَبِي الْقَاسِمِ: أَقْسَامُ الْكَلَامِ ثَلَاثَةٌ؛ فَوَضَعَ الْكَلَامَ مَوْضِعَ الْكَلِمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

الكلام والكلم معنى واحد، جمع كلمة.

كلامنا لفظٌ...

مفيدٌ...

مفيدٌ كاستقم، اسمٌ...

وفعلٌ ثم حرفٌ...

ثم حرفٌ الكلم، فالكلام هو الكلم.

"{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا: الْمَعْنَى وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ. وَفِي الْحَدِيثِ «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ قَوْلًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلًا وَعَمَلًا إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً إِلَّا بِإِصَابَةِ السُّنَّةِ»."

يعني النية الصالحة وحدها لا تكفي، بل لابد من الإصابة، لابد من المتابعة، فالنية الخالصة لله – جلّ وعلا– شرط القبول، كما أن الشرط الثاني، المتابعة، ووقوع العمل موافقًا لما جاء عن الله وعن رسوله –عليه الصلاة والسلام–.

صحيح الحديث؟

ماذا؟

الحديث؟

الحديث ماذا يقول؟

طالب:.....

نعم، الاشتراط مجمع عليه، اشتراط الإخلاص والمتابعة مجمع عليه، وفي كلام الفضيل بن عياض، {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[هود:٧] قال: أخلصه وأصوبه، أخلصه وأصوبه، وهذا هو معروف عن سلف هذه الأمة، وأما كونه مرفوع، كما قال: لا أصل له.

"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللَّهَ وَقَالَ كَلَامًا طَيِّبًا وَأَدَّى فَرَائِضَهُ، ارْتَفَعَ قَوْلُهُ مَعَ عَمَلِهِ وَإِذَا قَالَ وَلَمْ يُؤَدِّ فَرَائِضَهُ رُدَّ قَوْلُهُ عَلَى عَمَلِهِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا قَوْلٌ يَرُدُّهُ مُعْتَقَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَلَا يَصِحُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَاصِيَ التَّارِكَ لِلْفَرَائِضِ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ وَقَالَ كَلَامًا طَيِّبًا فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ لَهُ مُتَقَبَّلٌ مِنْهُ، وَلَهُ حَسَنَاتُهُ وَعَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَقَبَّلُ مِنْ كُلِّ مَنِ اتَّقَى الشِّرْكَ."

كأنه يريد أن معنى قوله- جلّ وعلا -: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[المائدة:٢٧]، الذين اتقوا الشرك، وهذا بناءً على أن القبول المذكور يراد به الصحة، كلام صحيح، ولو كان من غير تقي، لكن الثواب المرتب عليه لا يكون إلا للمتقي.

"وَأَيْضًا فَإِنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَإِنَّمَا يَسْتَقِيمُ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْعَمَلَ هُوَ الرَّافِعُ لِلْكَلِمِ، بِأَنْ يُتَأَوَّلَ أَنَّهُ يَزِيدُهُ فِي رَفْعِهِ وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ إِذَا تَعَاضَدَ مَعَهُ. كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الْأَعْمَالِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِذَا تَخَلَّلَ أَعْمَالَهُ كَلِمٌ طَيِّبٌ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى كَانَتِ الْأَعْمَالُ أَشْرَفَ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} مَوْعِظَةً وَتَذْكِرَةً وَحَضًّا عَلَى الْأَعْمَالِ. وَأَمَّا الْأَقْوَالُ الَّتِي هِيَ أَعْمَالٌ فِي نُفُوسِهَا؛ كَالتَّوْحِيدِ وَالتَّسْبِيحِ فَمَقْبُولَةٌ. قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ بِذِكْرِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ لَمْ يَنْفَعْ؛ لِأَنَّ مَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَهُوَ وَبَالٌ عَلَيْهِ. وَتَحْقِيقُ هَذَا: أَنَّ الْعَمَلَ إِذَا وَقَعَ شَرْطًا فِي قَبُولِ الْقَوْلِ أَوْ مُرْتَبِطًا، فَإِنَّهُ لَا قَبُولَ لَهُ إِلَّا بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرْطًا فِيهِ فَإِنَّ كَلِمَهُ الطَّيِّبَ يُكْتَبُ لَهُ، وَعَمَلَهُ السَّيِّئَ يُكْتَبُ عَلَيْهِ، وَتَقَعُ الْمُوَازَنَةُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ بِالْفَوْزِ وَالرِّبْحِ وَالْخُسْرَانِ."

نعم، هذا على مذهب أهل السنة أن الحسنات تكتب، والسيئات تكتب، هذه لها كِفة، وهذه لها كِفة، وهذا لا علاقة له بهذا، وهذا لا علاقة له بهذا، إذا انفكت الجهة، خلافًا لمذهب المعتزلة، والخوارج الأحباطية، الذين يرون أنه إذا عمل عملاً سيئًا أحبط عمله السابق من الأعمال الصالحة، هذا معروف عند المبتدعة.

وأما أهل السنة، فحسناته له، مضبوطة، محصاة، وسيئاته عليه، والموازنة تكون فيما بعد، عند الحساب.

"قُلْتُ: مَا قَالَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ تَحْقِيقٌ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْقَوْلِ الطَّيِّبِ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْآثَارِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ نَظَرَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى عَمَلِهِ، فَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوَافِقًا لِقَوْلِهِ صَعِدَا جَمِيعًا، وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ مُخَالِفًا وُقِفَ قَوْلُهُ حَتَّى يَتُوبَ مِنْ عَمَلِهِ. فَعَلَى هَذَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ إِلَى اللَّهِ. وَالْكِنَايَةُ فِي (يَرْفَعُهُ) تَرْجِعُ إِلَى الْكَلِمِ الطَّيِّبِ."

الكناية هنا الضمير.

"وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَالضَّحَّاكِ. وَعَلَى أَنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ هُوَ التَّوْحِيدُ، فَهُوَ الرَّافِعُ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ. أَيْ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ؛ فَالْكِنَايَةُ تَعُودُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَرُوِيَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: الْكَلِمُ الطَّيِّبُ الْقُرْآنُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْقُرْآنُ. وَقِيلَ: تَعُودُ عَلَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَزَّ-؛ أَيْ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ اللَّهُ عَلَى الْكَلِمِ الطَّيِّبِ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ تَحْقِيقُ الْكَلِمِ، وَالْعَامِلُ أَكْثَرُ تَعَبًا مِنَ الْقَائِلِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّافِعُ الْخَافِضُ. وَالثَّانِي وَالْأَوَّلُ مَجَازٌ، وَلَكِنَّهُ سَائِغٌ جَائِزٌ. قَالَ النَّحَّاسُ: الْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَاهَا

وَأَصَحُّهَا لِعُلُوِّ مَنْ قَالَ بِهِ، وَأَنَّهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَوْلَى؛ لِأَنَّ الْقُرَّاءَ عَلَى رَفْعِ الْعَمَلِ. وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اللَّهُ، أَوِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، لَكَانَ الِاخْتِيَارُ نصب العمل."

نعم لكان الاختيار.

نصب العمل.

نصب نصب.

"لَكَانَ الِاخْتِيَارُ نصْبُ الْعَمَلِ. وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا قَرَأَهُ مَنْصُوبًا إِلَّا شَيْئًا رُوِيَ عَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: قَرَأَهُ أُنَاسٌ (وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ اللَّهُ). وَقِيلَ: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ الْعِزَّةَ وَعَلِمَ أَنَّهَا تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ.

الثَّانِيَةُ: ذَكَرُوا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْكَلْبَ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}. وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بِعُمُومٍ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الْقَوْلِ بِالْعُمُومِ، وَقَدْ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ بِشُرُوطِهَا، فَلَا يَقْطَعُهَا عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا بِثُبُوتِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ؛ مِنْ مِثْلِ مَا انْعَقَدَتْ بِهِ مِنْ قُرْآنٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ.

وَقَدْ تَعَلَّقَ مَنْ رَأَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ» فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الْأَسْوَدَ شَيْطَانٌ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ جَاءَ مَا يُعَارِضُ هَذَا، وَهُوَ مَا خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَمَّهُ عَنِ الصَّلَاةِ يَقْطَعُهَا شَيْءٌ؟ فَقَالَ: لَا يَقْطَعُهَا شَيْءٌ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَتْ: لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُومُ فَيُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، وَإِنِّي لَمُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ عَلَى فِرَاشِ أَهْلِهِ."

هذا لا يعارض الحديث السابق، الحديث السابق من قوله- عليه الصلاة والسلام- وهذا من استنباط عائشة- رضي الله عنها- كانت تستنكر أن تسوى المرأة بالكلب والحمار، على كل حال، لا يمكن أن يعارض قول النبي - صلى الله عليه وسلم- بقول غيره كائنًا من كان.

وأما استدلالها بكونها- رضي الله عنها- تصلي وهي معترضة بينه وبين القبلة، إذا سجد غمزها، فكفت رجلها، فالقار ليس كالمار عند أهل العلم، فالذي يقطع المرور، لا المكث والبقاء، فلا تعارض بين الحديثين.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ} ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي (كِتَابِ آدَابِ النُّفُوسِ): حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} قَالَ: هُمْ أَصْحَابُ الرِّيَاءِ؛ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: هُمُ الَّذِينَ مَكَرُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَعْنِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا، قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي الشِّرْكَ، فَتَكُونُ السَّيِّئَاتُ مَفْعُولَةً. وَيُقَالُ: بَارَ يَبُورُ إِذَا هَلَكَ وَبَطَلَ.

وَبَارَتِ السُّوقُ أَيْ كَسَدَتْ، وَمِنْهُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ بَوَارِ الْأَيِّمِ. وَقَوْلُهُ: (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) أَيْ هَلْكَى. وَالْمَكْرُ: مَا عُمِلَ عَلَى سَبِيلِ احْتِيَالٍ وَخَدِيعَةٍ. وَقَدْ مَضَى فِي (سَبَأٍ)."

أي مضى في مكر الليل والنهار.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} قَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: يَعْنِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا: خَلَقَ أَصْلَكُمْ مِنْ تُرَابٍ. ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ قَالَ: أَيِ الَّتِي أَخْرَجَهَا مِنْ ظُهُورِ آبَائِكُمْ. {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} قَالَ: أَيْ زَوَّجَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا، فَالذَّكَرُ زَوْجُ الْأُنْثَى لِيُتِمَّ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّتِهَا."

يعني؛ بقاء النوع الإنساني، لا يتم إلا بالزواج، والمزاوجة.

"{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} أَيْ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا فَيَتَزَوَّجُ الذَّكَرُ بِالْأُنْثَى فَيَتَنَاسَلَانِ بِعِلْمِ اللَّهِ، فَلَا يَكُونُ حَمْلٌ وَلَا وَضْعٌ إِلَّا وَاللَّهُ عَالِمٌ بِهِ، فَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ تَدْبِيرِهِ. {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} سَمَّاهُ مُعَمَّرًا بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ} إِلَّا كُتِبَ عُمُرُهُ، كَمْ هُوَ سَنَةً كَمْ هُوَ شَهْرًا كَمْ هُوَ يَوْمًا كَمْ هُوَ سَاعَةً ثُمَّ يُكْتَبُ فِي كِتَابٍ آخَرَ: نَقَصَ مِنْ عُمُرِهِ يَوْمٌ، نَقَصَ شَهْرٌ، نَقَصَ سَنَةٌ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ أَجَلَهُ. وَقَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَيْضًا، قَالَ: فَمَا مَضَى مِنْ أَجَلِهِ فَهُوَ النُّقْصَانُ، وَمَا يُسْتَقْبَلُ فَهُوَ الَّذِي يُعَمَّرُهُ؛ فَالْهَاءُ عَلَى هَذَا لِلْمُعَمَّرِ. وَعَنْ سَعِيدٍ أَيْضًا: يُكْتَبُ عُمُرُهُ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ، ثُمَّ يُكْتَبُ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ: ذَهَبَ يَوْمٌ، ذَهَبَ يَوْمَانِ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِهِ. وَعَنْ قَتَادَةَ: الْمُعَمَّرُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، وَالْمَنْقُوصُ مِنْ عُمُرِهِ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ سِتِّينَ سَنَةً."

جاء في الحديث الصحيح «أعذر الله لمن بلغه الستين».

"وَمَذْهَبُ الْفَرَّاءِ فِي مَعْنَى (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أَيْ مَا يَكُونُ مِنْ عُمُرِهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ بِمَعْنَى مُعَمَّرٍ."

يعني تقسيم هذا، بعض الناس يعمر، وبعض الناس ينقص من عمره؛ لا أنه شخْص واحد؛ لا أنه شخص يعمر وينقص من عمره، إنما هما اثنان، شخص يعمر، وشخص ينقص من عمره.

"(وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) بِمَعْنَى مُعَمَّرٍ آخَرَ، أَيْ وَلَا يُنْقَصُ الْآخَرُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ. فَالْكِنَايَةُ فِي عُمُرِهِ تَرْجِعُ إِلَى آخَرَ غَيْرِ الْأَوَّلِ. وَكَنَّى عَنْهُ بِالْهَاءِ كَأَنَّهُ الْأَوَّلُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُكَ: عِنْدِي دِرْهَمٌ وَنِصْفُهُ، أَيْ نِصْفُ آخَرَ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عُمُرَ الْإِنْسَانِ مِائَةَ سَنَةٍ إِنْ أَطَاعَ ، وَتِسْعِينَ إِنْ عَصَى، فَأَيُّهُمَا."

لأنه لو قال: عندي درهم ونصف، هو نصف الدرهم الذي عنده، صار عنده الآن درهم واحد؛ الآن عنده درهم ونصف هذا الدرهم ونصفه الثاني أيضًا عنده، هو الدرهم الأول، لكنه حينما يقول: عندي درهم ونصفه، يقصد بذلك نصف درهم آخر؛ يعني عندي درهم ونصف.

"فَأَيُّهُمَا بَلَغْ فَهُوَ فِي كِتَابٍ. وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ -الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أَيْ أَنَّهُ يُكْتَبُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ: عُمُرُ فُلَانٍ كَذَا سَنَةٍ، فَإِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ زِيدَ فِي عُمُرِهِ كَذَا سَنَةٍ. فَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَنَّهُ سَيَصِلُ رَحِمَهُ فَمَنِ اطَّلَعَ عَلَى الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي ظَنَّ أَنَّهُ زِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} وَالْكِنَايَةُ عَلَى هَذَا تَرْجِعُ إِلَى الْعُمُرِ.

وَقِيلَ : الْمَعْنَى (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أَيْ هَرِمٍ ، وَلَا يُنْقَصُ آخَرُ."

الكلام السابق في معنى «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره»؛ بناءً على أن الزيادة حقيقية؛ يعني يكتب له في أول الأمر وهو في بطن أمه ستون سنة، ثم يصل رحمه فيزاد عشر، أو عشرين، على أنها زيادة حقيقية، وهذا بالنسبة لما في علم الملك، وأما ما في علم الله- جلّ وعلا - فإنه لا يتغير، ما في علم الله لا يتغير، الله- جلّ وعلا- يعلم الأشياء على حقيقتها، وأما علم المخلوق هو الذي يتغير، يتجدد له ما يزيده وما ينقصه، بخلاف علم الخالق.

ومن أهل العلم من يرى الزيادة والنقصان، إنما هي معنوية، يعني زيادة بركة، فينتج في عمره الأربعين، أو الخمسين، أو الستين، ما ينتجه غيره في مائة سنة، أو أكثر، وهذا ظاهر.

من قرأ في سيّر أهل العلم، وخيار هذه الأمة، وجد هذه البركة في أعمارهم، وإن كانت قصيرة، يعني؛ عمر بن عبد العزيز عمره أربعون سنة، أربعون سنة عمره، والبركة في هذه الأربعين، يعني بحيث تعادل ما فعله غيره، مائة، بل مئات السنين، ومن أهل العلم من عاش الثلاثين، ومن عاش الأربعين، ومن عاش الخمسين، وإذا حسب إنتاجه العلمي وطلابه وأثره في الأمة، وجد ذلك يعادل قرون، والله المستعان.

"وَقِيلَ: الْمَعْنَى (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أَيْ هَرِمٍ، وَلَا يُنْقَصُ آخَرُ مِنْ عُمُرِ الْهَرِمِ (إِلَّا فِي كِتَابٍ)؛ أَيْ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ. رُوِيَ مَعْنَاهُ عَنِ الضَّحَّاكِ وَاخْتَارَهُ النَّحَّاسُ، قَالَ: وَهُوَ أَشْبَهُهَا بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ. وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. فَالْهَاءُ عَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْمُعَمَّرِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِ الْمُعَمَّرِ. {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} أَيْ كِتَابَةَ الْأَعْمَالِ وَالْآجَالِ غَيْرُ مُتَعَذِّرٍ عَلَيْهِ. وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ يُنْقَصُ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَقَرَأَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ يَعْقُوبُ (يَنْقُصُ) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْقَافِ، أَيْ لَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ شَيْءٌ. يُقَالُ، نَقَصَ الشَّيْءُ بِنَفْسِهِ وَنَقَصَهُ غَيْرُهُ، وَزَادَ بِنَفْسِهِ وَزَادَهُ غَيْرُهُ، مُتَعَدٍّ وَلَازِمٌ. وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ وَالزُّهْرِيُّ (مِنْ عُمُرِهِ) بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ."

عمْره عمْره، بالسكون بسكون الميم.

"(مِنْ عُمُرِهِ) بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ، وَضَمَّهَا الْبَاقُونَ. وَهُمَا لُغَتَانِ مِثْلُ السُّحْقِ وَالسُّحُقِ."

الأصل، الأصل التحريك، ثم تسكن تخفيفًا، نعم.

"وَ(يَسِيرٌ) أَيْ إِحْصَاءُ طَوِيلِ الْأَعْمَارِ وَقَصِيرِهَا لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا وَلَا يَعْزُبُ. وَالْفِعْلُ مِنْهُ: يَسُرْ."

يَسُرَ، يَسُرَ.

"وَالْفِعْلُ مِنْهُ: يَسُرَ، وَلَوْ سَمَّيْتَ بِهِ إِنْسَانًا انْصَرَفَ؛ لِأَنَّهُ فَعِيلٌ."

طالب:.....

على الخلاف، هل هو العمر حقيقي بالسنين، يعني تقصد في حديث الصلة؟ الخلاف معروف، الأصل الحقيقة، ‹‹ينسأ له في أثره›› يعني يمد له في أجله، يمد له في أجله بدلاً من أن يعيش ستين، يعيش ثمانين، حقيقة، زيادة حقيقية رأوا هذا، وهذا جمع من أهل العلم، ويكون التغير فيما في علم الملك، قال له: اكتب أجله، كتب ستين، أكتب أجله كم؟ ستين، وفي علم الله -جلّ وعلا- أن هذا يفعل ويبذل هذا السبب الذي هو سبب لزيادة العمر، فيزيده عشرين سنة، ومن أهل العلم وقول جمع غفير، من أهل العلم: أن الزيادة {إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ}[يونس:٤٩] ، إذا حل الأجل ما في(زيادة).

ومنهم من يقول: أنه قابل للزيادة مادام ما جاء الأجل، قبل مجيء الأجل، أما إذا حضر الأجل، فلا زيادة، أما قبل حضوره فهو يقبل الزيادة، تبعًا لبذل الأسباب التي تقتضي هذه الزيادة كالصلة، ومنهم من يقول: أبدًا لا يزيد ولا ينقص، قيل له: اكتب أجله، خلاص ما يزيد ولا ينقص، ستين ستين، لكن هذه الستين يفُعل فيها ما يُفعل في مائة سنة، تكون بالبركة، كما أن بأيد الناس الآن الإنسان قد يكسب في اليوم ألف ريال، ويخرج بها إلى السوق ما تصنع معه شيء، ويخرج الآخر بمائة ريال، ويقتني بها ما ينفعه وينفع ولده معه.

طالب:.....

لا، من كتب عليه الشقاء فخلاص، كتبت له السعادة انتهى، نعم، نعم في ما يظهر للمخلوق ويبدو للمخلوق قد يتغير؛ لأن الإنسان قد يعمل بعمل أهل الجنة ثم، في النهاية يكتب له بغيره، وقد يعمل بعمل أهل النار، ثم يكتب له في النهاية يعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، هذا بالنسبة لعلم المخلوق، أما ما في علم الله- جلّ وعلا- فلا يتغير، الشقي شقي، والسعيد سعيد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ} فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ: الْأُولَى: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فُرَاتٌ حُلْوٌ، وَأُجَاجٌ مُرٌّ. وَقَرَأَ طَلْحَةُ: (هَذَا مَلِحَ أُجَاجٌ) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ اللَّامِ بِغَيْرِ أَلِفٍ. وَأَمَّا الْمَالِحُ فَهُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الْمِلْحُ. وَقَرَأَ عِيسَى وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ (سَيِّغٌ شَرَابُهُ) مِثْلَ سَيِّدٍ وَمَيِّتٍ. {وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا} لَا اخْتِلَافَ فِي أَنَّهُ مِنْهُمَا جَمِيعًا. وَقَدْ مَضَى فِي (النَّحْلِ) الْكَلَامُ فِيهِ. الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى."

من كِل، من كلٍ التنوين هنا تنوين عوض، عوض عن شيء محذوف، كلٍ منهما؛ يعني من كل البحرين، العذب والملح، تأكل لحمًا طريًا، معروف السمك وغيره، حيتان.

"الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} مَذْهَبُ أَبِي إِسْحَاقَ أَنَّ الْحِلْيَةَ إِنَّمَا تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْمِلْحِ ، فَقِيلَ مِنْهُمَا لِأَنَّهُمَا مُخْتَلِطَانِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا تُسْتَخْرَجُ الْأَصْدَافُ الَّتِي

فِيهَا الْحِلْيَةُ مِنَ الدُّرِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي فِيهَا الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ نَحْوِ الْعُيُونِ، فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْهُمَا؛ لِأَنَّ فِي الْبَحْرِ عُيُونًا عَذْبَةً، وَبَيْنَهُمَا يَخْرُجُ اللُّؤْلُؤُ عِنْدَ التَّمَازُجِ. وَقِيلَ: مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَوْلًا رَابِعًا، قَالَ: إِنَّمَا تُسْتَخْرَجُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمِلْحِ خَاصَّةً. قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا أَحْسَنُهَا وَلَيْسَ هَذَا عِنْدَهُ، لِأَنَّهُمَا مُخْتَلِطَانِ، وَلَكِنْ جَمْعًا، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ أَحَدِهِمَا كَمَا قَالَ-جَلَّ وَعَزَّ-: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.} وَكَمَا تَقُولُ: لَوْ رَأَيْتَ الْحَسَنَ."

(لتسكنوا فيه) هذا من اللف والنشر المرتب، (جعل لكم الليل والنهار)، الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا من فضله، مع أنه لا يمنع أن يبتغي الفضل بالليل، ويسكن في النهار، لكن هذا الأصل، الأصل أن الليل سكن والنهار معاش.

"وَكَمَا تَقُولُ: لَوْ رَأَيْتَ الْحَسَنَ وَالْحَجَّاجَ لَرَأَيْتَ خَيْرًا وَشَرًّا."

يعني الحسن خير، والحجاج شر.

"وَكَمَا تَقُولُ: لَوْ رَأَيْتَ الْأَصْمَعِي وَسِيبَوَيْهِ لَمَلَأْتَ يَدَكَ لُغَةً وَنَحْوًا."

كل واحد منهم وما يخصه.

"فَقَدْ عُرِفَ مَعْنَى هَذَا، وَهُوَ كَلَامٌ فَصِيحٌ كَثِيرٌ، فَكَذَا: {وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} فَاجْتَمَعَا فِي الْأَوَّلِ وَانْفَرَدَ الْمِلْحُ بِالثَّانِي. الثَّالِثَةُ: وَفِي قَوْلِه: (تَلْبَسُونَهَا)، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِبَاسَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ؛ فَالْخَاتَمُ يُجْعَلُ فِي الْإِصْبَعِ، وَالسِّوَارُ فِي الذِّرَاعِ، وَالْقِلَادَةُ فِي الْعُنُقِ، وَالْخَلْخَالُ فِي الرِّجْلِ. وَفِي الْبُخَارِيِّ وَالنَّسَائِيِّ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ: افْتِرَاشُ الْحَرِيرِ كَلُبْسِهِ؟ قَالَ نَعَمْ. وَفِي، الصِّحَاحِ عَنْ أَنَسٍ «فَقُمْتُ عَلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ.» الْحَدِيثَ."

لبس كل شيء بحسبه، لبس كل شيء بحسبه، فلبس الحصير بالجلوس عليه، ولبس القلم بالكتابة به، ولبس كذا، إلى أخره.

"...الْحَدِيثَ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ} قَالَ النَّحَّاسُ: أَيْ مَاءَ الْمِلْحِ خَاصَّةً، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَالَ فِيهِمَا. وَقَدْ مَخَرَتِ السَّفِينَةُ تَمْخُرُ إِذَا شَقَّتِ الْمَاءَ. وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي (النَّحْلِ).

{لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} قَالَ مُجَاهِدٌ: التِّجَارَةُ فِي الْفُلْكِ إِلَى الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ: فِي مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ؛ كَمَا تَقَدَّمَ فِي (الْبَقَرَةِ). وَقِيلَ: مَا يُسْتَخْرَجُ مِنْ حِلْيَتِهِ وَيُصَادُ مِنْ حِيتَانِهِ. {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} عَلَى مَا آتَاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَقِيلَ: عَلَى مَا أَنْجَاكُمْ مِنْ هَوْلِهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} تَقَدَّمَ فِي (آلِ عِمْرَانَ) وَغَيْرِهَا. {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى} تَقَدَّمَ فِي (لُقْمَانَ) بَيَانُهُ. {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ}؛ أَيْ هَذَا الَّذِي مِنْ صُنْعِهِ مَا تَقَرَّرَ هُوَ الْخَالِقُ الْمُدَبِّرُ، وَالْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ؛ فَهُوَ الَّذِي يُعْبَدُ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ يَعْنِي الْأَصْنَامَ. مَا يَمْلِكُونَ

مِنْ قِطْمِيرٍ أَيْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى خَلْقِهِ. وَالْقِطْمِيرُ الْقِشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي بَيْنَ التَّمْرَةِ وَالنَّوَاةِ؛ قَالَهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ شِقُّ النَّوَاةِ؛ وَهُوَ اخْتِيَارُ الْمُبَرِّدِ، وَقَالَهُ قَتَادَةُ. وَعَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا: الْقِطْمِيرُ الْقِمْعُ الَّذِي عَلَى رَأْسِ النَّوَاةِ. قال الْجَوْهَرِيُّ: وَيُقَالُ: هِيَ النُّكْتَةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ، تَنْبُتُ مِنْهَا النَّخْلَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ} أَيْ إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِهِمْ فِي النَّوَائِبِ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ؛ لِأَنَّهَا جَمَادَاتٌ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} إِذْ لَيْسَ كُلُّ سَامِعٍ نَاطِقًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْمَعْنَى لَوْ سَمِعُوا لَمْ يَنْفَعُوكُمْ. وَقِيلَ: أَيْ لَوْ جَعَلْنَا لَهُمْ عُقُولًا وَحَيَاةً فَسَمِعُوا دُعَاءَكُمْ لَكَانُوا أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْكُمْ، وَلَمَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ عَلَى الْكُفْرِ. {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} أَيْ يَجْحَدُونَ أَنَّكُمْ عَبَدْتُمُوهُمْ، وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْكُمْ. ثُمَّ يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ هَذَا إِلَى الْمَعْبُودِينَ مِمَّا يَعْقِلُ؛ كَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالشَّيَاطِينِ أَيْ يَجْحَدُونَ أَنْ يَكُونَ مَا فَعَلْتُمُوهُ حَقًّا، وَأَنَّهُمْ أَمَرُوكُمْ بِعِبَادَتِهِمْ؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ عِيسَى بِقَوْلِهِ: {مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ}"

يعني في جواب قول الله- جلّ وعلا-: {أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ }[المائدة:١١٦] فيجيب بهذا الجواب.

"وَيَجُوزُ أَنْ يَنْدَرِجَ فِيهِ الْأَصْنَامُ أَيْضًا، أَيْ يُحْيِيهَا اللَّهُ حَتَّى تُخْبِرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ."

نعم، فالله -جلّ وعلا- قادر على أن ينطق هذه الأصنام، وإن كانت من حجارة.

"{وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ؛ أَيْ لَا أَحَدَ أَخْبَرُ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، فَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُهُ فِي عَمَلِهِ."

{وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}، استدل أهل العلم بهذا على أن، الإنباء والإخبار بمعنًى واحد، الإنباء والإخبار بمعنًى واحد، فسواءً قال الراوي: أنبأنا وأخبرنا، لا فرق، (ولا ينبئك مثل خبير) لكن لو كان المراد مثل ما قيل، لقال: (لينبئك مثل مخبر) مثل مخبر، فإنما في قوله- جلّ وعلا-:{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}[الزلزلة:٤] دليل على أن التحديث والإخبار، بمعنى واحد.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ} أَيِ الْمُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي بَقَائِكُمْ وَكُلِّ أَحْوَالِكُمْ. قال الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ لِمَ عَرَّفَ الْفُقَرَاءَ؟ قُلْتُ: قَصَدَ بِذَلِكَ أَنْ يُرِيَهُمْ أَنَّهُمْ لِشِدَّةِ افْتِقَارِهِمْ إِلَيْهِ هُمْ جِنْسُ الْفُقَرَاءِ، وَإِنْ كَانَتِ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ مُفْتَقِرِينَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ مِمَّا يَتْبَعُ الضَّعْفَ، وَكُلَّمَا كَانَ الْفَقِيرُ أَضْعَفَ كَانَ أَفْقَرَ وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالضَّعْفِ فِي قَوْلِهِ: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}، وَقَالَ: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} وَلَوْ نَكَّرَ لَكَانَ الْمَعْنَى : أَنْتُمْ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ .

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قُوبِلَ الْفُقَرَاءُ بِـ(الْغَنِيِّ) فَمَا فَائِدَةُ (الْحَمِيدُ)؟ قُلْتُ: لَمَّا أَثْبَتَ فَقْرَهُمْ إِلَيْهِ وَغِنَاهُ عَنْهُمْ، وَلَيْسَ كُلُّ غَنِيٍّ نَافِعًا بِغِنَاهُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَنِيُّ جَوَادًا مُنْعِمًا، وَإِذَا جَادَ وَأَنْعَمَ حَمِدَهُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ وَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْحَمْدَ ذَكَرَ (الْحَمِيدَ) لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ الْغَنِيُّ النَّافِعُ بِغِنَاهُ خَلْقَهُ، الْجَوَادُ

الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ، الْمُسْتَحِقُّ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمَدُوهُ. وَتَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ أَجْوَدُ الْوُجُوهِ عِنْدَ الْخَلِيلِ، وَيَجُوزُ تَخْفِيفُ الْأُولَى وَحْدَهَا وَتَخْفِيفُهُمَا وَتَحْقِيقُهُمَا جَمِيعًا. {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} تَكُونُ (هُوَ) زَائِدَةً، فَلَا يَكُونُ لَهَا مَوْضِعٌ مِنَ الْإِعْرَابِ."

تخفيف الهمزة الثانية، أجود الوجود، ويجوز تخفيف الأولى وحدها، ويجوز تخفيف الأولى وحدها بعد ذلك، تخفيفها ولا تحقيقها؟

تخفيفهما، وتحقيقهما جميعًا.

لأنه يقول يجوز تخفيف الهمزة الثانية، تخفيف الهمزة الثانية أجود عند الخليل، في قوله؟

"الفقراء إلى الله"

الفقراء إلى الله، نعم، تخفيف الهمزة الثانية، أجود "الفقراء إلى الله"

"الفقراء إلى الله"

ويجوز تخفيف الأولى وحدها.

"الفقراء إلى الله"

تخفيف الأولى وحدها.

تخفيفهما، وتحقيقهما.

جميعًا نعم.

هذا كلام الزمخشري؟ كل الكلام للزمخشري؟

طالب:.....

تخفيف الأولى؛ يعني مع تحقيق الثانية، ويجوز تخفيف الأولى وحدها، وتخفيفهما؛ يعني الاثنتين، وتحقيقهما معًا، تحقيق الهمزتين.

"{وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} تَكُونُ (هُوَ) زَائِدَةً، فَلَا يَكُونُ لَهَا مَوْضِعٌ مِنَ الْإِعْرَابِ، وَتَكُونُ مُبْتَدَأَةً فَيَكُونُ مَوْضِعُهَا رَفْعًا. قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} فِيهِ حَذْفٌ؛ الْمَعْنَى إِنْ يَشَأْ أَنْ يُذْهِبْكُمْ يُذْهِبْكُمْ؛ أَيْ يُفْنِيكُمْ. {وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} أَيْ أَطْوَعَ مِنْكُمْ وَأَزْكَى. {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} أَيْ مُمْتَنِعٍ عَسِيرٍ مُتَعَذِّرٍ. وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي (إِبْرَاهِيمَ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ، وَهُوَ مَقْطُوعٌ مِمَّا قَبْلَهُ. وَالْأَصْلُ (تَوْزَرُ) حُذِفَتِ الْوَاوُ اتِّبَاعًا لِيَزِرُ. (وَازِرَةٌ) نَعْتٌ لِمَحْذُوفٍ، أَيْ نَفْسٌ وَازِرَةٌ. وَكَذَا {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا} قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ أَوْ دَابَّةٌ. قَالَ: وَهَذَا يَقَعُ لِلْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ. قَالَ الْأَخْفَشُ: أَيْ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِنْسَانًا إِلَى حِمْلِهَا وَهُوَ ذُنُوبُهَا. وَالْحِمْلُ مَا كَانَ عَلَى الظَّهْرِ، وَالْحَمْلُ حَمْلُ الْمَرْأَةِ وَحَمْلُ النَّخْلَةِ؛ حَكَاهُمَا

الْكِسَائِيُّ بِالْفَتْحِ لَا غَيْرَ. وَحَكَى ابْنُ السِّكِّيتِ أَنَّ حَمْلَ النَّخْلَةِ يُفْتَحُ وَيُكْسَرُ. {لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} التَّقْدِيرُ عَلَى..."

هذا من باب تمثيل المعنوي بالمحسوس، (لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) لا يمكن أن يحمل الإنسان من ذنوب غيره شيء، من أوزار غيره شيء، إلا إذا كان سببًا فيها، {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ}[النحل:٢٥] ، إذا كانوا السبب فهي أوزارهم، لكن الأصل أن كل واحدٍ يكتب عليه ذنوبه، (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)؛ يعني البنت إذا رأت أمها متكلفة بحملها، عليها مشقة عظيمة في حملها هذا، حملت بولد، وتكلفت فيه مشقة عظيمة، هل تستطيع هذه البنت أن تخفف من حمل أمها فتحمل منه شيء؟ لا يمكن. وهذا تصوير بديع جدًا، إذا كانت البنت، وهي أقرب الناس إلى أمها لا تستطيع أن تخفف من حمل أمها شيئًا، فإنها لا تستطيع أن تحمل عنها من أوزارها شيئا.

"{لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} التَّقْدِيرُ عَلَى قَوْلِ الْأَخْفَشِ: وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ الْمَدْعُوُّ ذَا قُرْبَى. وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ وَلَوْ كَانَ ذُو قُرْبَى. وَهَذَا جَائِزٌ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وَمِثْلُهُ {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ}."

يعني إذا كان تامة، إذا كانت تامة، في قوله (وإن كان ذو عسرة) يعني وجد ذو عسرة، فكان هنا تامة، أما كان في الآية فهي ناقصة تحتاج إلى اسم وخبر.

"فَتَكُونُ كَانَ بِمَعْنَى وَقَعَ، أَوْ يَكُونُ الْخَبَرُ مَحْذُوفًا؛ أَيْ وَإِنْ كَانَ فِيمَنْ تُطَالِبُونَ ذُو عُسْرَةٍ. وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرٌ فَخَيْرٌ؛ عَلَى هَذَا. وَخَيْرًا فَخَيْرٌ؛ عَلَى الْأَوَّلِ.

وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ يَرَى الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَهُ: أَلَمْ أَكُنْ قَدْ أَسْدَيْتُ إِلَيْكَ يَدًا، أَلَمْ أَكُنْ قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ فَيَقُولُ بَلَى. فَيَقُولُ: انْفَعْنِي؛ فَلَا يَزَالُ الْمُسْلِمُ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يَنْقُصَ مِنْ عَذَابِهِ. وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي إِلَى أَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: أَلَمْ أَكُنْ بِكَ بَارًّا، وَعَلَيْكَ مُشْفِقًا، وَإِلَيْكَ مُحْسِنًا، وَأَنْتَ تَرَى مَا أَنَا فِيهِ، فَهَبْ لِي حَسَنَةً مِنْ حَسَنَاتِكَ، أَوِ احْمِلْ عَنِّي سَيِّئَةً؛ فَيَقُولُ: إِنَّ الَّذِي سَأَلْتَنِي يَسِيرٌ؛ وَلَكِنِّي أَخَافُ مِثْلَ مَا تَخَافُ. وَأَنَّ الْأَبَ لَيَقُولُ لِابْنِهِ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ نَحْوًا مِنْ هَذَا. وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ لِزَوْجَتِهِ: أَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ الْعِشْرَةَ لَكِ، فَاحْمِلِي عَنِّي خَطِيئَةً لَعَلِّي أَنْجُو؛ فَتَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ لَيَسِيرٌ وَلَكِنِّي أَخَافُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ. ثُمَّ تَلَا عِكْرِمَةُ: {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: هِيَ الْمَرْأَةُ تَلْقَى وَلَدَهَا فَتَقُولُ: يَا وَلَدِي، أَلَمْ يَكُنْ بَطْنِي لَكَ وِعَاءً، أَلَمْ يَكُنْ ثَدْيِي لَكَ سِقَاءً، أَلَمْ يَكُنْ حِجْرِي لَكَ وِطَاءً؛ فَيَقُولُ: بَلَى يَا أُمَّاهُ؛ فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ، قَدْ أَثْقَلَتْنِي ذُنُوبِي فَاحْمِلْ عَنِّي مِنْهَا ذَنْبًا وَاحِدًا؛ فَيَقُولُ: إِلَيْكِ عَنِّي يَا أُمَّاهُ، فَإِنِّي بِذَنْبِي عَنْكِ مَشْغُولٌ."

لكن انتفاع الولد بوالده، فضل من الله- جلّ وعلا- لا من الوالد،{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}[الطور: ٢١] ، يعني ما نقصناهم من أعمالهم من شيء، والأسئلة المذكورة هنا تتضمن نقص الوالد، و نقص الوالدة، وهذا كله منفي.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} أَيْ إِنَّمَا يَقْبَلُ إِنْذَارَكَ مَنْ يَخْشَى عِقَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} أَيْ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَقُرِئَ: (وَمَنِ ازَّكَّى فَإِنَّمَا يَزَّكَّى لِنَفْسِهِ)."

والتزكية تكون بالإيمان النافع والعمل الصالح الإيمان الخالص لله -جلّ وعلا- والعمل الصالح، الخالص لوجه الله- جلّ وعلا- الموافق لما جاء عن النبي- عليه الصلاة والسلام- نعم.

"{وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِير} أَيْ إِلَيْهِ مَرْجِعُ جَمِيعِ الْخَلْقِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} أَيِ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ. مِثْلُ: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ}. {وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ} قَالَ الْأَخْفَشُ سَعِيدٌ: لَا زَائِدَةٌ."

الأصل لا يقول سعيد؛ لأن الأخفش إذا أطلق يراد به الأوسط؛ سعيد بن مسعدة المجاشعي، نعم.

"لَا زَائِدَةٌ؛ وَالْمَعْنَى وَلَا الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ {وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ}. قَالَ الْأَخْفَشُ: وَالْحَرُورُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ شَمْسِ النَّهَارِ، وَالسَّمُومُ يَكُونُ بِاللَّيْلِ، وَقِيلَ بِالْعَكْسِ. وَقَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ: (الْحَرُورُ) تَكُونُ بِالنَّهَارِ خَاصَّةً، وَالسَّمُومُ يَكُونُ بِاللَّيْلِ خَاصَّةً، حَكَاهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: السَّمُومُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالنَّهَارِ، وَالْحَرُورِ يَكُونُ فِيهِمَا. قَالَ النَّحَّاسُ: وَهَذَا أَصَحُّ؛ لِأَنَّ (الْحَرُورَ) فَعُولٌ مِنَ والْحَرِّ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّكْثِيرِ، أَيِ الْحَرَّ الْمُؤْذِي."

والحرّ المؤذي كما يوجد في النهار بكثرة، أكثر من الليل؛ لوجود الشمس، يوجد أيضًا في الليل، يعني أكثر ما يوجد الحرّ في النهار؛ لأن الشمس لاشك أنها مصدر، يوجد أيضًا بالليل، لا سيما مع سكون الهواء، ومع الرطوبات في السواحل وغيرها، يوجد الحرّ الشديد في الليل كما يوجد في النهار.

"قُلْتُ: وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «قَالَتِ النَّارُ رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأْذَنْ لِي أَتَنَفَّسُ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ. » وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «فَمَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ فَمِنْ سَمُومِهَا وَشِدَّةِ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ فَمِنْ زَمْهَرِيرِهَا» وَهَذَا يَجْمَعُ تِلْكَ الْأَقْوَالَ، وَأَنَّ السَّمُومَ وَالْحَرُورَ يَكُونُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ فَتَأَمَّلْهُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالظِّلِّ وَالْحَرُورِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؛ فَالْجَنَّةُ ذَاتُ ظِلٍّ دَائِمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا وَالنَّارُ ذَاتُ حَرُورٍ}، وَقَالَ مَعْنَاهُ السُّدِّيُّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ ظِلُّ اللَّيْلِ، وَحَرُّ السَّمُومِ بِالنَّهَارِ. قال قُطْرُبٌ: الْحَرُورُ الْحَرُّ، وَالظِّلُّ الْبَرْدُ.

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْأَحْيَاءُ الْعُقَلَاءُ، وَالْأَمْوَاتُ الْجُهَّالُ. قَالَ قَتَادَةُ: هَذِهِ كُلُّهَا أَمْثَالٌ؛ أَيْ كَمَا لَا تَسْتَوِي هَذِهِ الْأَشْيَاءُ كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ.

{إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ}؛ أَيْ يُسْمِعُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِجَنَّتِهِ.

{وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُور} أَيِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَمَاتَ الْكُفْرُ قُلُوبَهُمْ؛ أَيْ كَمَا لَا تُسْمِعُ مَنْ مَاتَ، كَذَلِكَ لَا تُسْمِعُ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَعِيسَى الثَّقَفِيُّ وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: (بِمُسْمِعِ مَنْ فِي الْقُبُورِ) بِحَذْفِ التَّنْوِينِ تَخْفِيفًا؛ أَيْ هُمْ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ فِي أَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَقْبَلُونَهُ."

وهذا فيه ما تقدم أن اسم الفاعل العامل إذا كان في المضي، قطع عن الإضافة، "بمسمع من في القبور" وإذا كان في المعنى المستقبل، بمسمع في المستقبل، فتقطع عن الإضافة وتنون، "بمسمعٍ من في القبور".

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ}؛ أَيْ رَسُولٌ مُنْذِرٌ؛ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِيغُ، لَيْسَ لَكَ مِنَ الْهُدَى شَيْءٌ إِنَّمَا الْهُدَى بِيَدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} أَيْ بَشِيرًا بِالْجَنَّةِ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَنَذِيرًا بِالنَّارِ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ. {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِير} أَيْ سَلَفَ فِيهَا نَبِيٌّ. قَالَ ابْنُ (جُرَيْجٍ): إِلَّا الْعَرَبَ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ} يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ. {فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أَنْبِيَاءَهُمْ، يُسَلِّي رَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أَيْ بِالْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَاتِ وَالشَّرَائِعِ الْوَاضِحَاتِ. {وَبِالزُّبُرِ} أَيِ الْكُتُبِ الْمَكْتُوبَةِ. {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} أَيِ الْوَاضِحِ. وَكَرَّرَ (الزُّبُرِ) وَ (الْكِتَابِ)، وَهُمَا وَاحِدٌ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ. وَقِيلَ: يَرْجِعُ (الْبَيِّنَاتِ) وَ (الزُّبُرِ) وَ (الْكِتَابِ) إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكُتُبِ. {ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} أَيْ كَيْفَ كَانَتْ عُقُوبَتِي لَهُمْ. وَأَثْبَتَ وَرْشٌ عَنْ نَافِعٍ وَشَيْبَةَ الْيَاءَ فِي (نَكِيرِي)."

يعني هذا هو الأصل؛ لكن حذفها مراعاة لرؤوس الآية، {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[ق:٤٥]، {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}[الملك:١٨]، الأصل نكيري، ووعيدي، لكن مراعاة لرؤوس الآية تحذف الياء.

"حَيْثُ وَقَعَتْ فِي الْوَصْلِ دُونَ الْوَقْفِ. وَأَثْبَتَهَا يَعْقُوبُ فِي الْحَالَيْنِ، وَحَذَفَهَا الْبَاقُونَ فِي الْحَالَيْنِ. وَقَدْ مَضَى هَذَا كُلُّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ."

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرطبي

سورة فاطر

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣١/١١/١٨هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، قال الإمام القرطبي- رحمه الله تعالى-

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} هَذِهِ الرُّؤْيَةُ رُؤْيَةُ الْقَلْبِ وَالْعِلْمِ؛ أَيْ أَلَمْ يَنْتَهِ عِلْمُكَ وَرَأَيْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ؛ فَـ(أَنَّ) وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولَيِ الرُّؤْيَةِ."

هذه الرؤية يقول المؤلف: إنها رؤية القلب والعلم، والماء الذي ينزل من السماء يُرى بالبصر، الرؤية بصرية، كما أنها تأملها بالقلب والسابق واللاحق منها يكون بالعلم، فالرؤى الثلاث كلها تتوافر في هذا؛ لأنه يُرى بالبصر، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} نزول الماء من السماء مرئي بالبصر.

والمؤلف يقول: هذه الرؤية روية القلب والعلم، لاشك أن القلب له مدخل في نسبة ما بين الإنزال والإخراج، مثل هذا يحدث تدريجيًا، يعرف بالعلم من السابق، ويعرف أيضًا أن تدرك النسبة بالقلب، والمطر يُرى بالبصر.

"{فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ} هُوَ مِنْ بَابِ تَلْوِينِ الْخِطَابِ. {مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} نُصِبَتْ مُخْتَلِفًا نَعْتًا لِ(ثَمَرَاتٍ). (أَلْوَانُهَا) رُفِعَ بِـ(مُخْتَلِفًا)."

(ثمرات) منصوب لأخرجنا، مفعول، وجمع مؤنث سالم، ينصب بالكسرة، و(مختلفًا) نعته ووصفه، ينصب بالفتحة، وقوله: (فأخرجنا به) من باب تلوين الخطاب؛ يعني التنويع، (ألم تر أن الله أنزل)؛ يعني لو كان الخطاب على وتيرةٍ واحدة، لقال: "فأخرج به ثمرات"، "ألم تر أن الله أنزل، فأخرج" لما قال: فأخرجنا، التفات من الغيبة إلى الحضور، تكلُم، وهذا لاشك أنه فيه تنوع وتلوين في الخطاب.

"وَصَلُحَ أَنْ يَكُونَ نَعْتًا لِ(ثَمَرَاتٍ) لِمَا عَادَ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِهِ."

يصلح أن يكون نعتًا ل(ثمرات)؛ لأن فيه ضمير يعود إليها، لأن فيه ضمير يعود إليها، فيكون نعتًا سببيًا، كما تقول: جاء زيْد الذي قام أبوه، الذي قام أبوه نعت سببي، والأصل أنه مرفوع بمختلف، فاعل، اسم الفاعل.

"وَيَجُوزُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ رَفْعُهُ؛ وَمِثْلُهُ رَأَيْتُ رَجُلًا خَارِجًا أَبُوهُ. (بِهِ) أَيْ بِالْمَاءِ وَهُوَ وَاحِدٌ، وَالثَّمَرَاتُ مُخْتَلِفَةٌ. {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا}."

(به) واحده، الماء واحد، لكنه جنس، يصلح للواحد، والاثنين، والجمع، والكثير، والقليل، أما جمعهم، (المياه) في كتب أهل العلم، فإنما هو لتعدد أنواعه، منهم، ماء المطر، وماء البحر، وماء الآبار، وماء الأودية والأنهار، ومنه الطاهر، والطهور، والنجس، إلى غير ذلك؛ فنظرًا لتعدد أنواعه جمعوه، وإلا فالأصل أنه يطلق على الجميع.

"**{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} الْجُدَدُ جَمْعُ جُدَّةٍ، وَهِيَ الطَّرَائِقُ الْمُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانَ، وَإِنْ كَانَ الْجَمِيعُ حَجَرًا أَوْ تُرَابًا. قَالَ الْأَخْفَشُ: وَلَوْ كَانَ.**"

الحنفية يقولون: أن إضافة الماء، لا تؤثر؛ يعني فكما قالوا: ماء الورد، مثل من قالوا ماء البئر، الإضافة فيه لا تؤثر، مادام ماء، يصح التطهر به ولو أضيف، والإضافة لا أثر لها، تقول: ماء الورد مثلاً، وتقول أيضًا: ماء البئر، فالإضافة لا أثر لها، لكن الحنفية رد عليهم بتأثير الإضافة على الماء بمثل: ماء الرجل، وماء المرأة؛ يعني هل الإضافة مؤثرة ولا غير مؤثرة؟ مؤثرة قطعًا، يعني قالوا: الماء ماء، مهما أضفته يبقى ماء، ويصح التطهر به، ماء الورد مثل ماء البئر، الإضافة لاشك أن لها أثر، كما في ماء الرجل وماء المرأة، هل يصح التطهر بهم؟ لا أحد يقول بهذا.

"**قَالَ الْأَخْفَشُ: وَلَوْ كَانَ جَمْعُ جَدِيدٍ لَقَالَ: جُدُدٌ (بِضَمِّ الْجِيمِ وَالدَّالِ) نَحْوَ سَرِيرٍ وَسُرُرٍ. وَقَالَ زُهَيْرٌ:**

كَأَنَّـــــــهُ أَسْـــــــفَعُ الْخَـــــــدَّيْنِ ذُو جُـــــــدُدٍ
طَـــــاوٍ وَيَرْتَـــــعُ بَعْـــــدَ الصَّـــــيْفِ عُرْيَانَـــــا

وَقِيلَ: إِنَّ الْجُدَدَ الْقِطَعُ، مَأْخُوذٌ مِنْ جَدَدْتُ الشَّيْءَ إِذَا قَطَعْتُهُ."

ومنه الجداد، والجذاذ في صرم النخل، وقطع التمر منها.

"**حَكَاهُ ابْنُ بَحْرٍ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَالْجُدَّةُ الْخُطَّةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ الْحِمَارِ تُخَالِفُ لَوْنَهُ. وَالْجُدَّةُ الطَّرِيقَةُ، وَالْجَمْعُ جُدَدٌ؛ قَالَ تَعَالَى: {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} أَيْ طَرَائِقُ تُخَالِفُ لَوْنَ الْجَبَلِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَكِبَ فُلَانٌ جُدَّةً مِنَ الْأَمْرِ؛ إِذَا رَأَى فِيهِ رَأْيًا. وَكِسَاءٌ مُجَدَّدٌ: فِيهِ خُطُوطٌ مُخْتَلِفَةٌ. قال الزَّمَخْشَرِيُّ: وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ جُدُدٌ بِالضَّمِّ جَمْعُ جَدِيدَةٍ، هِيَ الْجِدَّةُ؛ يُقَالُ: جَدِيدَةٌ وَجُدُدٌ وَجَدَائِدُ كَسَفِينَةٍ وَسُفُنٍ وَسَفَائِنَ. وَقَدْ فُسِّرَ بِهَا قَوْلُ أَبِي ذُؤَيْبٍ:**

جَـــــوْنُ السَّـــــرَاةِ لَـــــهُ جَدَائِـــــدُ أَرْبَـــــعُ

وَرُوِيَ عَنْهُ (جَدَدٌ) بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الْمُسْفِرُ، وَضَعَهُ مَوْضِعَ الطَّرَائِقِ وَالْخُطُوطِ الْوَاضِحَةِ الْمُنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ} وَقُرِئَ: (وَالدَّوَابِ) مُخَفَّفًا. وَنَظِيرُ هَذَا التَّخْفِيفِ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: (وَلَا الضَّالِينَ) لِأَنَّ كُلَّ. الضالين؟"

الضألين.

"(وَلَا الضَّالِينَ) لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَرَّ مِنَ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، فَحَرَّكَ ذَلِكَ أَوَّلَهُمَا، وَحَذَفَ هَذَا آخِرَهُمَا؛ قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ. {وَالْأَنْعَامَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} أَيْ فِيهِمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى صَانِعٍ مُخْتَارٍ، وَقَالَ: {مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ} فَذَكَّرَ الضَّمِيرَ مُرَاعَاةً لِ(مِنْ)؛ قَالَهُ الْمُؤَرِّجُ. وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: إِنَّمَا ذَكَرَ الْكِنَايَةَ لِأَجْلِ أَنَّهَا مَرْدُودَةٌ إِلَى (مَا) مُضْمَرَةٍ؛ مَجَازُهُ: وَمِنَ النَّاسِ وَمِنَ الدَّوَابِّ وَمِنَ الْأَنْعَامِ مَا هُوَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، أَيْ أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ وَأَسْوَدُ. {وَغَرَابِيبُ سُودٌ} قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْغِرْبِيبُ الشَّدِيدُ السَّوَادِ؛ فَفِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالْمَعْنَى: وَمِنَ الْجِبَالِ سُودٌ غَرَابِيبُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلشَّدِيدِ السَّوَادِ الَّذِي لَوْنُهُ كَلَوْنِ الْغُرَابِ: أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَتَقُولُ هَذَا أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ؛ أَيْ شَدِيدُ السَّوَادِ. وَإِذَا قُلْتَ: غَرَابِيبُ سُودٌ، تَجْعَلُ السُّودَ بَدَلًا مِنْ غَرَابِيبَ لِأَنَّ تَوْكِيدَ الْأَلْوَانِ لَا يَتَقَدَّمُ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الشَّيْخَ الْغِرْبِيبَ» يَعْنِي الَّذِي يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ."

خرجه؟

طالب:.....

رشدين، رشدين، بإسناد رشدين وهو ضعيف عند أهل العلم، رشدين بن سعد المصري، لكن حديث «جنبوه السواد» يكفي في تحريم الصبغ بالسواد، نعم.

"قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

الْعَيْنُ طَامِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ

وَالرِّجْلُ لَافِحَةٌ وَالْوَجْهُ غِرْبِيبُ

وَقَالَ آخَرُ يَصِفُ كَرْمًا:

وَمِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ

يُعْصَرُ مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغِرْبِيبُ

(كَذَلِكَ) هُنَا تَمَامُ الْكَلَامِ؛ أَيْ كَذَلِكَ تَخْتَلِفُ أَحْوَالُ الْعِبَادِ فِي الْخَشْيَةِ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}؛ يَعْنِي بِالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَخَافُونَ قُدْرَتَهُ؛ فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدِيرٌ أَيْقَنَ بِمُعَاقَبَتِهِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، كَمَا رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} قَالَ: الَّذِينَ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَقَالَ

الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: مَنْ لَمْ يَخْشَ اللَّهَ تَعَالَى فَلَيْسَ بِعَالِمٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ-."

هذا أسلوب، أسلوب حصر فالذي يخشى الله- جلّ وعلا-هو العالم، والعالم هو الذي يخشى الله -جلّ وعلا- وأما من يحمل العلم دون خشية، فهذا في الحقيقة ليس بعلم، ولا يستحق أن يسمى عالمًا، من العجب أن كل مسلم يعلم قدرة الله عليه، ومع ذلك لا يخشى الله- جلّ وعلا- والذي شك في القدرة من الأمم السابقة، لئن قدر الله علي، عظم خوفه من الله جلّ وعلا واشتدت خشيته، حتى أنه أمر بإحراقه وذر رماده في الهواء، شتان بين من يعلم ولا يفعل، وبين من يجهل ويفعل، هذان طرفا نقيض، لكن المُمتدح حقًا، المَمدوح حقًا، هو الذي يعلم ويعمل ويخشى، يخشى الله -جلّ وعلا-.

"وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِلْمًا وَبِالِاغْتِرَارِ جَهْلًا. وَقِيلَ لِسَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: مَنْ أَفْقَهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ أَتْقَاهُمْ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ."

لأن العبرة بالعلم، العلم الذي ليس بعده، ورائه عمل هذا ليس بعلم، بقدر ما يعمل الإنسان يوصف بالعلم، بقدر ما يترك يوصف بالجهل، بقدر ما يخالف يوصف بالجهل، من عصا الله فهو جاهل، ولو عرف بالحكم، {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ}[النساء:١٧] الجهالة هنا ارتكاب المعصية، ليس معناها عدم معرفة الحكم، يعلم أن الخمر حرام ويشرب الخمر، هذا جاهل ولو علم الحكم بدليله، يعلم أن الزنا حرام ويزني، هو جاهل ولو علم الحكم بدليله، ولولا ذلك لقلنا أن من عرف الحكم لا تقبل توبته، ولا قائل بهذا، ولا قائل بهذا {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}[النساء:١٧] فكل من عصا الله فهو جاهل،.

"وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: إِنَّ الْفَقِيهَ حَقَ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ؛ إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا عِلْمَ لَا فِقْهَ فِيهِ، وَلَا قِرَاءَةَ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا. وَأَسْنَدَ الدَّارِمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرَضِيهِ وَالنُّونَ فِي الْبَحْرِ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ» الْخَبَرُ مُرْسَلٌ."

لأنه يرفعه مكحول إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وهو تابعي، وهذا حد المرسل، مخرج؟ ما في غيره؟ يعني ما رواه غير الدارمي؟

طالب:.....

الترمذي؟

طالب:.....

"قَالَ الدَّارِمِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي جَرِيرُ بْنُ زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ثُبَيْعًا يُحَدِّثُ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ:«إِنِّي لَأَجِدُ نَعْتَ قَوْمٍ يَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَيَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الْعِبَادَةِ، وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّأْنِ، قُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ؛ فَبِي يَغْتَرُّونَ، وَإِيَّايَ يُخَادِعُونَ، فَبِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ.» خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَقَدْ كَتَبْنَاهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا وَجْهُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ) بِالرَّفْعِ (مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ) بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَتُحْكَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ. قُلْتُ: الْخَشْيَةُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ اسْتِعَارَةٌ، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يُجِلُّهُمْ وَيُعَظِّمُهُمْ كَمَا يُجَلُّ الْمَهِيبُ الْمَخْشِيُّ مِنَ الرِّجَالِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ عِبَادِهِ.

يعني القراءة شاهده، فلا نحتاج إلى تأوليه،.

"{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} تَعْلِيلٌ لِوُجُوبِ الْخَشْيَةِ، لِدَلَالَتِهِ عَلَى عُقُوبَةِ الْعُصَاةِ وَقَهْرِهِمْ، وَإِثَابَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ. وَالْمُعَاقِبُ وَالْمُثِيبُ حَقُّهُ أَنْ يُخْشَى. قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} هَذِهِ آيَةُ الْقُرَّاءِ الْعَامِلِينَ الْعَالِمِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ الْفَرْضَ وَالنَّفْلَ، وَكَذَا فِي الْإِنْفَاقِ. وَقَدْ مَضَى فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهِ قَارِئُ الْقُرْآنِ. {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى."

ثعلب هذا لقبه ثعلب.

"خَبَرُ إِنَّ يَرْجُونَ. {وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} قِيلَ: الزِّيَادَةُ الشَّفَاعَةُ فِي الْآخِرَةِ. وَهَذَا مِثْلُ الْآيَةِ الْأُخْرَى: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}، وَقَوْلِهِ فِي آخِرِ النِّسَاءِ: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} وَهُنَاكَ بَيَّنَّاهُ. إِنَّهُ غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ. شَكُورٌ يَقْبَلُ الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ الْخَالِصِ، وَيُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} يَعْنِي الْقُرْآنَ. {هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أَيْ مِنَ الْكُتُبِ. {إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ}. قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}. فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ: الْأُولَى: هَذِهِ الْآيَةُ مُشْكِلَةٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ -جَلَّ وَعَزَّ-: {اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} ثُمَّ قَالَ: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}."

فكيف يكون الظالم مصطفى؟

"وَقَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ. قَالَ النَّحَّاسُ: فَمِنْ أَصَحِ مَا رُوِيَ فِي ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ: الْكَافِرُ؛ رَوَاهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} قَالَ: نَجَتْ فِرْقَتَانِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: فَمِنْهُمْ مِنْ عِبَادِنَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ؛ أَيْ كَافِرٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ: أَيْ فَاسِقٌ. وَيَكُونُ الضَّمِيرُ الَّذِي فِي يَدْخُلُونَهَا يَعُودُ عَلَى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ لَا عَلَى الظَّالِمِ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَالْفَرَّاءِ، أَنَّ الْمُقْتَصِدَ: الْمُؤْمِنُ الْعَاصِي، وَالسَّابِقُ: التَّقِيُّ عَلَى الْإِطْلَاقِ. قَالُوا: وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً} :الْآيَةَ. قَالُوا وَبَعِيدٌ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُصْطَفَى ظَالِمٌ."

هذا إذا حملنا الظلم على الكفر فلا شك في أن هذا الكلام هو المتعين، لكن إذا قلنا أن الظلم أعم من ذلك، يشمل ظلم الإنسان لنفسه، وظلمه لغيره فيما دون الكفر، فلا شك أن هذا باعتباره مسلمًا، ومصطفى، مادام مسلم فهو مصطفى، ومآله إلى الجنة، {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} إما من أول الأمر، من أول وهلة كالسابق والمقتصد، أو يكون مآله بعد ذلك إن عُذّب بذنوبه كالظالم، أما إذا قلنا أن المراد بالظلم: الشرك الذي لا يغفر، هذا لا شك أنه غير مصطفى ، وأما المسلم المرتكب للسيئات، الذنوب، المعاصي، هو في الجملة مصطفى؛ لأن الاصطفاء نسبي، بالنسبة للكفار هو مصطفى، (وَجَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا)؛ يعني في المآل ولو لم يكن في أول الأمر، ابن القيم أطال في تقرير هذا الكلام في (طريق الهجرتين) بكلامًا جميل جدًا؛ يعني يحسن بطالب العلم أن يراجعه.

"وَرَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ مُجَاهِدٌ: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} السَّابِقُونَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي يَدْخُلُونَهَا يَعُودُ عَلَى الثَّلَاثَةِ الْأَصْنَافِ، عَلَى أَلَّا يَكُونَ الظَّالِمُ هَاهُنَا كَافِرًا وَلَا فَاسِقًا. وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَائِشَةُ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ: أَنْ يَكُونَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي عَمِلَ الصَّغَائِرَ. وَ(الْمُقْتَصِدُ) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: هُوَ الَّذِي يُعْطِي الدُّنْيَا حَقَّهَا وَالْآخِرَةَ حَقَّهَا؛ فَيَكُونُ {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} عَائِدًا عَلَى الْجَمِيعِ عَلَى هَذَا الشَّرْحِ وَالتَّبْيِينِ؛ وَرُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: اسْتَوَتْ مَنَاكِبُهُمْ -وَرَبِّ الْكَعْبَةِ- وَتَفَاضَلُوا بِأَعْمَالِهِمْ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِيُّ: أَمَّا الَّذِي سَمِعْتُ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً فَكُلُّهُمْ نَاجٍ. وَرَوَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَالَ: كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ. وَقَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «سَابِقُنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ». فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يُقَدَّرُ مَفْعُولُ الِاصْطِفَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: {أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} مُضَافًا حُذِفَ كَمَا حُذِفَ الْمُضَافُ فِي."

مضافًا حذف، مضافًا حذف كما حذف المضاف.

"مُضَافًا حُذِفَ كَمَا حُذِفَ الْمُضَافُ فِي {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} أَيِ اصْطَفَيْنَا دِينَهُمْ فَبَقِيَ اصْطَفَيْنَاهُمْ؛ فَحُذِفَ الْعَائِدُ إِلَى الْمَوْصُولِ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ: {وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ} أَيْ تَزْدَرِيهِمْ، فَالِاصْطِفَاءُ إِذًا مُوَجَّهٌ إِلَى دِينِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}. قَالَ النَّحَّاسُ: وَقَوْلٌ ثَالِثٌ: يَكُونُ الظَّالِمُ صَاحِبُ الْكَبَائِرِ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي لَمْ يَسْتَحِقَّ الْجَنَّةَ بِزِيَادَةِ حَسَنَاتِهِ عَلَى سَيِّئَاتِهِ؛ فَيَكُونُ: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} لِلَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ لَا غَيْرَ. وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِي حَقِيقَةِ النَّظَرِ بِمَا يَلِيهِ أَوْلَى. قُلْتُ: الْقَوْلُ الْوَسَطُ."

جاء ضمير في "يدخلونها" هم السابقون فقط؛ لأن مثل هذا الضمير، ومثل الاستثناء، ومثل الوصف، إذا تعقب جمل متعددة، هل يعود على الجميع؟ أو يعود على الأخير فقط؟ أو يعود على الثاني والثالث دون الأول؟ لاشك أن النصوص في هذا تؤيد هذه الأقوال، منها ما يؤيد القول الأول، هو أن الضمير يعود على الجميع، ومنها ما السياق يدل على عوده إلى الأخير فقط، وليس في هذا قاعدة مضطردة، إلا أن عوده على الأخير متفق عليه، متفٌق عليه، مثل: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}[النور:٤] حكمهم، {فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا}[النور٥:٤] يتفق أهل العلم أن وصف الفسق يرتفع، كما أنهم يتفقون على أن الجلد حق المخلوق لا يسقط، فلا يعود عليه الاستثناء، وأما الخلاف في قبول الشهادة، فهو معروف بين أهل العلم، والذي يقول مثل هذا يعود إلى جميع ما تقدم، يقول تقبل شهادته، مادام ارتفع الوصف المؤثر في عدم القبول، وهو الفسق، فلا مانع من قبول شهادته حينئذٍ، وعلى كل حال، كل نص له ما يؤيده من الأدلة، ولا يحكم بقاعدة مطردة، إلا أنهم يتفقون أن العود على الضمير، على الأخير، متفق عليه، كما هنا السابق متفق عليه، {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} ثم قال: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} ويراد بذلك السابق بالخيرات دون المقتصد، ودون الظالم لنفسه، والسابق بالخيرات معروف أنه هو الذي يفعل الواجبات، ويترك المحرمات، ويتجاوز ذلك إلى المندوبات، وترك المكروهات، هذا سابق، وأما المقتصد الذي يقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات، والظالم نفسه الذي قد يترك بعض الواجبات، ويرتكب بعض المحرمات، هذه هي القسمة، في من اصطُفي من المسلمين، أما إذا قيل أن الظالم نفسه يشمل الكافر، فهذا أمره آخر، لكن الآن يظهر الأقسام الثلاثة المصطفون، وأنهم يدخلون الجنة، إما في أول الأمر، كما في القسمين الثاني والثالث، أو يكون المآل في النهاية إلى دخولها في حال ظلم الإنسان نفسه أو غيره، نعم، كيف؟

طالب:.....

هذا كلام الصحابة.

طالب:....

لو قلنا أن الآية خاصة بالصحابة، وأنهم كلهم يدخلونها، وكلهم مصطفون، حتى من ظلم نفسه بشربٍ أو زنا أو ما أشبه ذلك، ولذلك قال: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ثم قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناٍج، وظالمنا مغفور له، هذا ينطبق على الصحابة، لكن من جاء بعدهم، الظالم تحت المشيئة.

"قُلْتُ: الْقَوْلُ الْوَسَطُ أَوْلَاهَا وَأَصَحُّهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ لَمْ يُصْطَفَوْا بِحَمْدِ اللَّهِ، وَلَا اصْطُفِيَ دِينُهُمْ. وَهَذَا قَوْلُ سِتَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ."

عمر، وعثمان، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وعقبة بن عمرو، وعائشة. هؤلاء ستة.

"وَحَسْبُكَ. وَسَنَزِيدُهُ بَيَانًا وَإِيضَاحًا فِي بَاقِي الْآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} أَيْ أَعْطَيْنَا. وَالْمِيرَاثُ عَطَاءٌ حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيمَا صَارَ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِ آخَرَ. وَ (الْكِتَابُ هَاهُنَا يُرِيدُ بِهِ مَعَانِيَ الْكِتَابِ وَعِلْمِهِ وَأَحْكَامِهِ وَعَقَائِدِهِ، وَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْطَى أُمَّةَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقُرْآنَ، وَهُوَ قَدْ تَضَمَّنَ مَعَانِيَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ، فَكَأَنَّهُ وَرَّثَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا. {اصْطَفَيْنَا} أَيِ اخْتَرْنَا. وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الصَّفْوِ ، وَهُوَ الْخُلُوصُ مِنْ شَوَائِبِ الْكَدَرِ. وَأَصْلُهُ اصْتَفَوْنَا."

اصتفونا؛ يعني تاء الافتعال تقلب طاء.

"اصْتَفَوْنَا، فَأُبْدِلَتِ التَّاءُ طَاءً وَالْوَاوُ يَاءً. مِنْ عِبَادِنَا قِيلَ الْمُرَادُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ اللَّفْظُ يَحْتَمِلُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ، إِلَّا أَنَّ عِبَارَةَ تَوْرِيثِ الْكِتَابِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْأُوَلُ لَمْ يَرِثُوهُ. وَقِيلَ: الْمُصْطَفَوْنَ الْأَنْبِيَاءُ، تَوَارَثُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى أَنَّهُ انْتَقَلَ عَنْ بَعْضِهِمْ إِلَى آخَرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ}، وَقَالَ: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} فَإِذَا جَازَ أَنْ تَكُونَ النُّبُوَّةُ مَوْرُوثَةً فَكَذَلِكَ الْكِتَابُ."

لأنه لا يراد بهذا إرث المال، لا في قوله: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ}، ولا {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ} لأن ‹‹الأنبياء لا يورثون، ما تركوا صدقة›› ‹‹إنا معاشر الأنبياء لا نورث›› ، كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-.

"{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} مَنْ وَقَعَ فِي صَغِيرَةٍ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا قَوْلٌ مَرْدُودٌ مِنْ غَيْرِ مَا وَجْهٍ. قَالَ الضَّحَّاكُ: مَعْنَى {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} أَيْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ الْمُشْرِكُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مِنْ أُمَمِهِمْ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْخِلَافِ فِي الظَّالِمِ. وَالْآيَةُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ فِي الظَّالِمِ وَالْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: السَّابِقُ الْعَالِمُ، وَالْمُقْتَصِدُ الْمُتَعَلِّمُ، وَالظَّالِمُ الْجَاهِلُ. وَقَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ: الظَّالِمُ الذَّاكِرُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ فَقَطْ، وَالْمُقْتَصِدُ الذَّاكِرُ بِقَلْبِهِ، وَالسَّابِقُ الَّذِي لَا يَنْسَاهُ. وَقَالَ الْأَنْطَاكِيُّ: الظَّالِمُ

صَاحِبُ الْأَقْوَالِ، وَالْمُقْتَصِدُ صَاحِبُ الْأَفْعَالِ، وَالسَّابِقُ صَاحِبُ الْأَحْوَالِ. وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: الظَّالِمُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يُحِبُّهُ مِنْ أَجْلِ الْعُقْبَى، وَالسَّابِقُ الَّذِي أَسْقَطَ مُرَادَهُ بِمُرَادِ الْحَقِّ. وَقِيلَ: الظَّالِمُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ طَمَعًا فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّابِقُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ لِوَجْهِهِ لَا لِسَبَبٍ. وَقِيلَ: الظَّالِمُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَتَرَكَ لَهَا حَظًّا وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَالْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ، وَالسَّابِقُ الْمُحِبُّ. وَقِيلَ: الظَّالِمُ الَّذِي يَجْزَعُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالْمُقْتَصِدُ الصَّابِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالسَّابِقُ الْمُتَلَذِّذُ بِالْبَلَاءِ."

يمكن تدخل هذه القسمة في جميع الأبواب، في جميع الأبواب، وكنا نتكلم عن هذه الأمور الثلاثة على حسب ما يخطر بباله، وكلٌ على حسب ما يهتم به، صاحب العلم يمكن أن يصنف أهل العلم إلى سابق، ومقتصد، وظالم، والعامل يصنف العاملين كذلك، والذاكر يصنفهم كذلك، وغير ذلك، وهذه الأقوال كثيرًا منها منقول عن أهل التصوف، لأنهم هم عنايتهم بهذه الأمور أكثر من عنايتهم بغيرها من الأبواب، يهتمون بهذه الأمور باعتبار أنها تنبعث من تأثيرات القلوب، ولهم اهتمام كبير بأعمال القلوب، والمؤلف له عناية بهم لاسيما من اتصف بهذا الوصف من غير شطط، ومن غير شطحات، وإيغالٍ في البدعة، وإلا فله مواقف من الردود على غلاة المتصوفة، معروف المؤلف في هذا الباب معتدل، وإن كانت لهم بهم عناية، ينقل أقوالهم، كما أن شيخ الإسلام ينقل أقوال المعتدلين منهم، وابن القيم ينقل أقوال المعتدلين، لكن أهل الشطحات، لاشك أنهم يتولون الرد عليهم، والنكير عليهم.

هم اللى يقصد بهم أرباب القلوب؟

كيف؟

هم مقصود بهم أرباب القلوب؟

هذا لا يهم، المتصوفة معروفين، شيخ الإسلام له بمعتدليهم عناية كذلك ابن القيم، ينقلون عنهم بكثرة، والمؤلف هذا تصدى للغلاة منهم، أهل الشطحات، وأهل النزوات، وما يُدعى فيهم من كرامات، على كل حال، كلامهم في الجملة لا بأس به، قد لا نوافقه في كثير مما يقول، لكن كلامه الجملة يقرب من الكلام والنقول الذي ينقله شيخ الإسلام وابن القيم عنهم، أما غلاتهم، فهو يتولى الرد عليهم كثيرا، وقفت على نسخة من التفسير، نسخة أحمد بن الصديق الغماري، يرد على المؤلف ردود قوية جدًا، لأنه يتعقب الصوفية، وينزل عليه حديث ‹‹من عادى لي وليًا››، وهو يدافع وينافع عن غلاتهم، أصحاب الشطحات، وأصحاب الأحوال التي كثير منها شيطانية، وليست رحمانية، نسأل الله العافية.

"وَقِيلَ: الظَّالِمُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْغَفْلَةِ وَالْعَادَةِ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَالسَّابِقُ الَّذِي يَعْبُدُهُ عَلَى الْهَيْبَةِ."

أما عبادة الله على الرغبة والرهبة فهذه وظيفة الأنبياء والأتباع، {وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[الأنبياء: ٩٠]، على الرغبة والرهبة.

"وَقِيلَ: الظَّالِمُ الَّذِي أُعْطِيَ فَمَنَعَ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي أُعْطِيَ فَبَذَلَ، وَالسَّابِقُ الَّذِي مُنِعَ فَشَكَرَ وَآثَرَ. يُرْوَى أَنَّ عَابِدَيْنِ الْتَقَيَا فَقَالَ: كَيْفَ حَالُ إِخْوَانِكُمْ بِالْبَصْرَةِ؟ قَالَ: بِخَيْرٍ، إِنْ أُعْطُوا شَكَرُوا وَإِنْ مُنِعُوا صَبَرُوا. فَقَالَ: هَذِهِ حَالَةُ الْكِلَابِ عِنْدَنَا بِبَلْخٍ! عُبَّادُنَا إِنْ مُنِعُوا شَكَرُوا وَإِنْ أُعْطُوا آثَرُوا. وَقِيلَ: الظَّالِمُ مَنِ اسْتَغْنَى بِمَالِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ مَنِ اسْتَغْنَى بِدِينِهِ، وَالسَّابِقُ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَبِّهِ. وَقِيلَ: الظَّالِمُ التَّالِي لِلْقُرْآنِ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ التَّالِي لِلْقُرْآنِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَالسَّابِقُ الْقَارِئُ لِلْقُرْآنِ الْعَامِلِ بِهِ وَالْعَالِمِ بِهِ. وَقِيلَ: السَّابِقُ الَّذِي يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ قَبْلَ تَأْذِينِ الْمُؤَذِّنِ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَقَدْ أُذِّنَ، وَالظَّالِمُ الَّذِي يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ؛ لِأَنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ الْأَجْرَ فَلَمْ يُحَصِّلْ لَهَا مَا حَصَّلَهُ غَيْرُهُ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا: بَلِ السَّابِقُ."

لا شك أن مثل هذه الأمور أمور نسبية، يعني مثل التوفيق والحرمان، مثل التوفيق والحرمان، يعني إذا قلت رجُل موفق، يمكن أن تقول لمن يدرك تكبيرة الإحرام: رجل موفق، ويمكن أن تقول: الذي يدرك تكبيرة الإحرام رجلٌ محروم، لماذا ما بكر؟، وجاء مع الآذان، أو قبل الآذان، روي عن بعض السلف الذي قال: أنه الذي لا يأتي الصلاة إلا إذا دعي إليها هذا رجل سوء، كيف ينتظر إلى أن يدعى إليها؟ لاشك أن المسألة مقامات، وكلٌ يتحدث على حسب مقامه، ولذا قال حسان بن أبي سنان كما في صحيح البخاري: ما رأيت شيئًا أهون من الورع، ‹‹ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك›› هذا هو الذي قطع أعناق العلماء والعباد، الورع، كيف يتورعون؟ كيف يثبتون؟ كيف يصمدون أمام المغريات؟ هو يقول: ما رأيت شيئًا أهون من الورع، إذا رأيت شيئًا تشك فيه اتركه، من يملك مثل هذا الأمر؟ لكن كلٌ يتحدث على حسب منزلته ومقامه، نعم. ويجيء في مقابل ذلك، أن السابق الذي يأتي قبل الإقامة، والمقتصد الذي تفوته الصلاة ولا يفوته الوقت، والظلم نفسه الذي يفوت الوقت، كل واحد يتحدث على حسب مقامه هو.

"وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا: بَلِ السَّابِقُ الَّذِي يُدْرِكُ الْوَقْتَ وَالْجَمَاعَةَ فَيُدْرِكُ الْفَضِيلَتَيْنِ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي إِنْ فَاتَتْهُ الْجَمَاعَةُ لَمْ يُفَرِّطْ فِي الْوَقْتِ، وَالظَّالِمُ الْغَافِلُ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى يَفُوتَ الْوَقْتُ وَالْجَمَاعَةُ، فَهُوَ أَوْلَى بِالظُّلْمِ. وَقِيلَ: الظَّالِمُ الَّذِي يُحِبُّ نَفْسَهُ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يُحِبُّ دِينَهُ، وَالسَّابِقُ الَّذِي يُحِبُّ رَبَّهُ. وَقِيلَ: الظَّالِمُ الَّذِي يَنْتَصِفُ وَلَا يُنْصِفُ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يَنْتَصِفُ وَيُنْصِفُ، وَالسَّابِقُ الَّذِي يُنْصِفُ وَلَا يَنْتَصِفُ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا."

كل هذه أمثلة، يعني يمكن أن تندرج القسمة هذه في جميع الأبواب، نعم، يعني مثل ما جاء في الذي يجد سعة، وتمر عليه خمس من السنين، فلم يحج، محروم، حرمان نسبي، يعني الإنسان إذا أدى ما فرضه الله عليه، هذا في الجملة ليس بالمحروم، لكن من فاتته حجة واحدة، محروم بالنسبة لمن يحج كل سنة، والله المستعان.

"وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: السَّابِقُ الَّذِي أَسْلَمَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَالْمُقْتَصِدُ مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَالظَّالِمُ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ إِلَّا بِالسَّيْفِ؛ وَهُمْ كُلُّهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ. قُلْتُ: ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ وَزِيَادَةً عَلَيْهَا الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهُمْ طَرَفَانِ وَوَاسِطَةٌ، وَهُوَ الْمُقْتَصِدُ الْمُلَازِمُ لِلْقَصْدِ وَهُوَ تَرْكُ الْمَيْلِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ جَابِرِ بْنِ حُنَيٍّ التَّغْلِبِيِّ: تعاطى الملوك السلم، تعاطى الملوك السلم."

نعاطي، نعاطي الملوك.

"نُعَـــاطِي الْمُلُـــوكَ السَّـــلْمَ مَـــا قَصَـــدُوا لَنَـــا

وَلَـــــيْسَ عَلَيْنَـــــا قَـــــتْلُهُمْ بِمُحَـــــرَّمِ"

يعني إذا كانوا مقتصدين في أمرنا، الأصل نعاطيهم السلك، السلم لكن إذا لو قتلنا، ليس علينا قتلهم، وهذا ليس بصحيح، هذا الكلام ليس بصحيح، بل لو ظلموك، إذا كان تؤدى ما عليك، ولو ظلموك، ولو ضربوا ظهرك، وأخذوا مالك، عليك أن تؤدى ما عليك، وتسأل الله- جلّ وعلا- الذي لك، إن أحسنوا، أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فعليهم، ما عليك من إساءتهم من شيء إذا أديت ما عليك.

"أَيْ نُعَاطِيهِمُ الصُّلْحَ مَا رَكِبُوا بِنَا الْقَصْدَ، أَيْ مَا لَمْ يَجُورُوا، وَلَيْسَ قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ عَلَيْنَا إِنْ جَارُوا."

يعني لا يجوز قتالهم، فضلاً عن قتلهم، لا يجوز قتالهم ولا الخروج عليهم ولو جاروا، ما لم يرى الكفر البواح، ولا يكفي رؤية الكفر البواح وترك الصلاة في الخروج عليهم، حتى تتم القدرة على ذلك، مع تحقق مصلحة لا مفسدة فيها.

"فَلِذَلِكَ كَانَ الْمُقْتَصِدُ مَنْزِلَةً بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَهُوَ فَوْقَ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ وَدُونَ السَّابِقِ بِالْخَيْرَاتِ. ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ يَعْنِي إِتْيَانَنَا."

يعني نظير هذا في أمور الدنيا، من يشتري سلعة، أو ثلاثة اشتروا ثلاثًا من السلع، الأول باعها بمكسب، والثاني برأس ماله، والثالث خسر.

"{ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}؛ يَعْنِي إِتْيَانَنَا الْكِتَابَ لَهُمْ. وَقِيلَ: ذَلِكَ الِاصْطِفَاءُ مَعَ عِلْمِنَا بِعُيُوبِهِمْ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، وقِيْلَ وَعْد اَلْجَنْة لِهَؤُلَاءِ اَلثَّلَاثَةُ فَضْلٌ كَبِيْر. الثَّالِثَةُ: وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي تَقْدِيمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ فَقِيلَ: التَّقْدِيمُ فِي الذِّكْرِ لَا يَقْتَضِي تَشْرِيفًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ}. وَقِيلَ: قُدِّمَ الظَّالِمُ لِكَثْرَةِ الْفَاسِقِينَ مِنْهُمْ وَغَلَبَتِهِمْ وَأَنَّ الْمُقْتَصِدِينَ قَلِيلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ، وَالسَّابِقِينَ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ؛ ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وَلَمْ يَذْكُرْهُ غَيْرُهُ. وَقِيلَ: قُدِّمَ الظَّالِمُ لِتَأْكِيدِ الرَّجَاءِ فِي حَقِّهِ، إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يَتَّكِلُ عَلَيْهِ إِلَّا رَحْمَةَ رَبِّهِ. وَاتَّكَلَ الْمُقْتَصِدُ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ، وَالسَّابِقُ عَلَى طَاعَتِهِ. وَقِيلَ: قُدِّمَ الظَّالِمُ لِئَلَّا يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،

وَأُخِّرَ السَّابِقُ لِئَلَّا يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ. وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّادِقُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: قُدِّمَ الظَّالِمُ لِيُخْبِرَ أَنَّهُ لَا يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ إِلَّا بِصَرْفِ رَحْمَتَهُ وَكَرَمَهُ."

صِرف؛ يعني بمحضها.

"وَأَنَّ الظُّلْمَ لَا يُؤَثِّرُ فِي الِاصْطِفَائِيَّةِ إِذَا كَانَتْ ثَمَّ عِنَايَةٌ، ثُمَّ ثَنَّى بِالْمُقْتَصِدِينَ لِأَنَّهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، ثُمَّ خَتَمَ بِالسَّابِقِينَ لِئَلَّا يَأْمَنَ أَحَدٌ مَكْرَ اللَّهِ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِحُرْمَةِ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيِّ."

الحكيم صاحب النوادر، نوادر الأصول.

"جَمَعَهُمْ فِي الِاصْطِفَاءِ إِزَالَةً لِلْعِلَلِ عَنِ الْعَطَاءِ؛ لِأَنَّ الِاصْطِفَاءَ يُوجِبُ الْإِرْثَ، لَا الْإِرْثُ يُوجِبُ الِاصْطِفَاءَ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ: "صَحِّحِ النِّسْبَةَ ثُمَّ ادَّعِ فِي الْمِيرَاثِ"."

صحح النسبة، نسبتك إلى هذا المُورّث، ثم ادعِ الميراث، أولاً صحح عملك وانظر في واقعك، ثم بعد ذلك، تمن على الله ما شئت، لكن تمن وأنت ما صححت ولا تدري ما وضعك ولا واقعك، ترتكب المحرمات، تترك واجبات، ثم تقول: أنا من المصطفين، هذا ليس صحيح.

طالب:.....

كيف؟

طالب:.....

كيف يثبت العرش؟

طالب:.....

أثبت النسبة، ثم ادعِ الميراث، هذا واضح، لو أنت قلت أنا والله وارث لزيد من الناس، رحت المحكمة قلت أنا أبغي نصيبي من الإرث، يقولون: أثبت ما يثبت أنك من الورثة، ما نسبتك لهذا الميت؟ أنت قريب؟ أنت صاحب نسب؟ صاحب مصاهرة؟، في ولاء بينك وبينه؟، أثبت النسبة أولاً، ثم بعد ذلك ادع نصيبك من الميراث، نعم.

"وَقِيلَ: أَخَّرَ السَّابِقَ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْجَنَّاتِ وَالثَّوَابِ، كَمَا قَدَّمَ الصَّوَامِعَ وَالْبِيَعَ فِي (سُورَةِ الْحَجِّ) عَلَى الْمَسَاجِدِ، لِتَكُونَ الصَّوَامِعُ أَقْرَبَ إِلَى الْهَدْمِ وَالْخَرَابِ."

{لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ}[الحج:٤٠]، صارت الصوامع أقرب إلى الهدم، {وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} : الآية، والمساجد أقرب إلى الذكر، والصوامع أقرب إلى الهدم والخراب.

"وَتَكُونَ الْمَسَاجِدُ أَقْرَبَ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَرَادُوا الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ بِالذِّكْرِ قَدَّمُوا الْأَدْنَى؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، وَقَوْلِهِ: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُور}، وَقَوْلِهِ: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ}."

وإذا يحمل كلامهم في قولهم: الأولوية، لها دخل في الأولوية، يحمل هذا على الغالب.

"قُلْتُ: وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

وَغَايَـــــةُ هَـــــذَا الْجُـــــودِ أَنْـــــتَ وَإِنَّمَـــــا
يُـــــوَافِي إِلَـــــى الْغَايَـــــاتِ فِـــــي آخِـــــرِ الْأَمْـــــرِ

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} جَمَعَهُمْ فِي الدُّخُولِ؛ لِأَنَّهُ مِيرَاثٌ، وَالْعَاقُّ وَالْبَارُّ فِي الْمِيرَاثِ سَوَاءٌ إِذَا كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِالنَّسَبِ؛ فَالْعَاصِي وَالْمُطِيعُ مُقِرُّونَ بِالرَّبِّ. وَقُرِئَ: (جَنَّةُ عَدْنٍ) عَلَى الْإِفْرَادِ، كَأَنَّهَا جَنَّةٌ مُخْتَصَّةٌ بِالسَّابِقِينَ لِقِلَّتِهِمْ؛ عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَ(جَنَّاتِ عَدْنٍ) بِالنَّصْبِ عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ يُفَسِّرُهُ الظَّاهِرُ؛ أَيْ يَدْخُلُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا. وَهَذَا لِلْجَمِيعِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو (يُدْخَلُونَهَا) بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْخَاءِ. قَالَ: لِقَوْلِهِ: (يُحَلَّوْنَ). وَقَدْ مَضَى فِي (الْحَجِّ) الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} قَالَ أَبُو ثَابِتٍ: دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتِي وَآنِسْ وَحْدَتِي وَيَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا. فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَئِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَلَأَنَا أَسْعَدُ بِذَلِكَ مِنْكَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} قَالَ: فَيَجِيءُ هَذَا السَّابِقُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَيُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَيُحْبَسُ فِي الْمَقَامِ وَيُوَبَّخُ وَيُقَرَّعُ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} وَفِي لَفْظٍ آخَرَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ يُحْبَسُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ يَتَلَقَّاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ فِي مَقَامِهِ؛ يَعْنِي يُكَفَّرُ عَنْهُ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} يَعْنِي فِي الدُّنْيَا. قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا}، وَلِقَوْلِهِ: {الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} وَالْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ لَمْ يُصْطَفَوْا. قُلْتُ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَقَدْ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»؛ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُنَافِقَ يَقْرَؤُهُ، وَأَخْبَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْمُنَافِقَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَهُ فِي زَمَانِنَا هَذَا. وَقَالَ مَالِكٌ: قَدْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ. وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ. وَاللُّغُوبُ: الْإِعْيَاءُ."

ولذا جاء في الخبر «أن أخوف ما يُخاف على الأمة المنافق عليم اللسان المنافق عليم اللسان»؛ يعني شخص عنده اطلاع ولم يقر لما في قلبه، ليس في قلبه إيمان يردعه عن اتباع المتشابهة، والتشبيه، والتلبيس على الناس، كما هو الواقع الآن، بعض من يكتب، وبعض من يناظر ويحاور، كل هؤلاء ممن يتبعون الشبهات، نسأل الله العافية، يتبعون متشابه، أهل الزيغ.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ} لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَحْوَالَهُمْ وَمَقَالَتَهُمْ، ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ وَأَحْوَالَهُمْ وَمَقَالَتَهُمْ. لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا مِثْلُ: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَ}. {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} مِثْلُ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} أَيْ كَافِرٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ (فَيَمُوتُونَ) بِالنُّونِ، وَلَا يَكُونُ لِلنَّفْيِ حِينَئِذٍ جَوَابٌ، وَيَكُونُ (فَيَمُوتُونَ) عَطْفًا عَلَى (يُقْضَى) تَقْدِيرُهُ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ وَلَا يَمُوتُونَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ}. قَالَ الْكِسَائِيُّ: {وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} بِالنُّونِ فِي الْمُصْحَفِ لِأَنَّهُ رَأْسُ آيَةٍ {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ رَأْسَ آيَةٍ. وَيَجُوزُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا جَازَ فِي صَاحِبِهِ."

أما الحذف من أجل موافقة رأس الآية فهذا كثير، أما إثبات ما حقه الحذف، فهذا قليل، مثل {وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} هذا إذا قلنا أن الفاء، "فاء" السببية تضمر بعدها "أن"؛ لأنها في سياق النفي، فيكون الفعل منصوب "بأن" المضمرة بعد فاء السببية، فتحذف النون.

"{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا}؛ أَيْ يَسْتَغِيثُونَ فِي النَّارِ بِالصَّوْتِ الْعَالِي. وَالصُّرَاخُ الصَّوْتُ الْعَالِي، وَالصَّارِخُ الْمُسْتَغِيثُ، وَالْمُصْرِخُ الْمُغِيثُ. قَالَ:

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ

كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا}؛ أَيْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ جَهَنَّمَ وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا. {نَعْمَلْ صَالِحًا} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: {غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} أَيْ مِنَ الشِّرْكِ، أَيْ نُؤْمِنُ بَدَلَ الْكُفْرِ، وَنُطِيعُ بَدَلَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَمْتَثِلُ أَمْرَ الرُّسُلِ. {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} هَذَا جَوَابُ دُعَائِهِمْ؛ أَيْ فَيُقَالُ لَهُمْ."

يعني بعد أن يقولوا {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا} يجابون؛ {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ}، ما أمهلناكم؟ ما أطلنا أعماركم؟

"أَيْ فَيُقَالُ لَهُمْ فَالْقَوْلُ مُضْمَرٌ. وَتَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ."

كثيرًا ما يضمر القول، كما في قوله -جلّ وعلا -: {فأما الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ}[آل عمران:١٠٦] ؛ يعني يقال لهم أكفرتم؟

"وَتَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ: (بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} يَعْنِي الشَّيْبَ) حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُطَهَّرٍ، قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغِفَارِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً». قَالَ الْخَطَّابِيُّ: (أَعْذَرَ إِلَيْهِ) أَيْ بَلَغَ بِهِ أَقْصَى الْعُذْرِ، وَمِنْهُ

قَوْلُهُمْ: "قَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ"؛ أَيْ أَقَامَ عُذْرَ نَفْسِهِ فِي تَقْدِيمِ نِذَارَتِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِّينَ سَنَةً لَمْ يَبْقَ لَهُ عُذْرٌ؛ لِأَنَّ السِّتِّينَ قَرِيبٌ مِنْ مُعْتَرَكِ الْمَنَايَا، وَهُوَ سِنُّ الْإِنَابَةِ وَالْخُشُوعِ وَتَرَقُّبِ الْمَنِيَّةِ وَلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى."

يعني هذا من أراد الله به خيرًا وإلا، فيلاحظ أن بعض الناس كل ما زاد عمره زاد شره، زادت معاصيه، نسأل الله العافية.

"فَفِيهِ إِعْذَارٌ بَعْدَ (إِعْذَارٍ)؛ الْأَوَّلُ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمَوْتَانِ فِي الْأَرْبَعِينَ وَالسِّتِّينَ. قَالَ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} إِنَّهُ سِتُّونَ سَنَة. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ فِي مَوْعِظَتِهِ: «ولقد أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ وَإِنَّهُ لَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى أَبْنَاءَ السِّتِّينَ» {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}. وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُودِيَ أَبْنَاءُ السِّتِّينَ وَهُوَ الْعُمُرُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ» {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ}. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمَسْرُوقٍ مِثْلُهُ. وَلِهَذَا الْقَوْلِ أَيْضًا وَجْهٌ ، وَهُوَ صَحِيحٌ."

لأن الأربعين مكتمل الأشد والعقل، ولذا كانت الأنبياء تبعث للأربعين، نعم. في وقتنا، في زماننا، صاحب الأربعين توّه يبدأ الآن بالتخطيط لأمور دنياه، فضلاً عن أن يلتفت لدينه، ومنهم من يرجئ هذا التخطيط إلى ما بعد التقاعد، بعد الستين، والله المستعان كل هذا من باب طول الأمل المذموم، الذي غر الناس، وجعلهم يتأخرون، ويتراخون في العمل، والله المستعان.

"وَالْحُجَّةُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} :الْآيَةَ. فَفِي الْأَرْبَعِينَ تَنَاهِي الْعَقْلِ وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ وَمَا بَعْدَهُ مُنْتَقَصٌ عَنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ مَالِكٌ: أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِبَلَدِنَا وَهُمْ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا وَالْعِلْمَ وَيُخَالِطُونَ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ لِأَحَدِهِمْ أَرْبَعُونَ سَنَةً، فَإِذَا أَتَتْ عَلَيْهِمُ اعْتَزَلُوا النَّاسَ وَاشْتَغَلُوا بِالْقِيَامَةِ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ. وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ). وَخَرَّجَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ».

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} وَقُرِئَ (وَجَاءَتْكُمُ النُّذُرُ) وَاخْتُلِفَ فِيهِ؛ فَقِيلَ الْقُرْآنُ. وَقِيلَ الرَّسُولُ؛ قَالَهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ زَيْدٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسُفْيَانُ، وَوَكِيعٌ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ، وَالْفَرَّاءُ، وَالطَّبَرِيُّ: هُوَ الشَّيْبُ. وَقِيلَ: النَّذِيرُ الْحُمَّى. وَقِيلَ مَوْتُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ. وَقِيلَ: كَمَالُ الْعَقْلِ. وَالنَّذِيرُ بِمَعْنَى الْإِنْذَارِ. قُلْتُ: فَالشَّيْبُ وَالْحُمَّى وَمَوْتُ الْأَهْلِ كُلُّهُ إِنْذَارٌ بِالْمَوْتِ؛ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ». قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحُمَّى رَسُولُ الْمَوْتِ،

أَيْ كَأَنَّهَا تُشْعِرُ بِقُدُومِهِ وَتُنْذِرُ بِمَجِيئِهِ. وَالشَّيْبُ نَذِيرٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي فِي سِنِّ الِاكْتِهَالِ، وَهُوَ عَلَامَةٌ لِمُفَارَقَةِ سِنِّ الصِّبَا الَّذِي هُوَ سِنُّ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ. قَالَ:

رَأَيْـــتُ الشَّـــيْبَ مِـــنْ نُـــذُرِ الْمَنَايَـــا

لِصَـــاحِبِهِ وَحَسْـــبُكَ مِـــنْ نَـــذِيرِ

وَقَالَ آخَرُ:

فَقُلْـــتُ لَهَـــا الْمَشِـــيبُ نَـــذِيرُ عُمْـــرِي

وَلَسْـــتُ مُسَـــوِّدًا وَجْـــهَ النَّـــذِيرِ

وَأَمَّا مَوْتُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ."

قال: ولست مسودًا وجه النذير؛ يعني ليس بصابغ شيبه، ولا مغير للشيب، مع أنه خلاف الأمر ‹‹غيروا هذا وجنبوه السواد››، والتغيير أقل أحواله أنه سنة مؤكدة.

طالب: حديث ‹‹الحمى رائد الموت››.

‹‹الحمى رائد الموت›› ماذا قال عنها؟

طالب:.....

جاء في الحمى، وفي آلمها ما جاء وهو الوعك، إنك لتوعك وعكًا شديدًا، وجاء أنها تحط الخطايا وتخفف عن المريض، وعلى كل حال، هي مرض من الأمراض، ولذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- للأعرابي ‹‹الطهور›› قال: حمًّى تفور تزيز القبور ؛ يعني تميت، أو كذلك، الله المستعان.

"وَأَمَّا مَوْتُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ. فَإِنْذَارٌ بِالرَّحِيلِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ، وَحِينٍ وَزَمَانٍ. قَالَ:

وَأَرَاكَ تَحْمِلُهُـــــمْ وَلَسْـــــتَ تَـــــرُدُّهُمْ

فَكَـــأَنَّنِي بِـــكَ قَـــدْ حُمِلْـــتُ فَلَـــمْ تُـــرَدَّ

وَقَالَ آخَرَ:

الْمَـــوْتُ فِـــي كُـــلِ حِـــينٍ يَنْشُـــرُ الْكَفَنَـــا

وَنَحْـــنُ فِـــي غَفْلَـــةٍ عَمَّـــا يُـــرَادُ بِنَـــا"

حال كثير من المسلمين كأن الأمر لا يعنيه، كأن الأمر لا يعنيه من قريب ولا بعيد، ولذا لا تجد حاله تتغير من مكان إلى مكان، يعني في لهوه وغفلته، سواء كان في نزهة، أو في المقبرة، لا فرق.

النـــاس فـــي غفلـــة عمـــا يـــراد بهـــم

كـــأنهم غـــنمٌ فـــي أيـــدي جـــزار

"وَأَمَّا كَمَالُ الْعَقْلِ فَبِهِ تُعْرَفُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَيُفْصَلُ بَيْنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ؛ فَالْعَاقِلُ يَعْمَلُ لِآخِرَتِهِ وَيَرْغَبُ فِيمَا عِنْدَ رَبِّهِ؛ فَهُوَ نَذِيرٌ. وَأَمَّا مُحَمَّدٌ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَبَعَثَهُ اللَّهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا إِلَى عِبَادِهِ قَطْعًا لِحُجَجِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} وَقَالَ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}. قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَذُوقُوا) يُرِيدُ عَذَابَ جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّكُمْ مَا اعْتَبَرْتُمْ وَلَا اتَّعَظْتُمْ. {فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} أَيْ مَانِعٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}. تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ. وَالْمَعْنَى: عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ رَدَّكُمْ إِلَى الدُّنْيَا لَمْ تَعْمَلُوا صَالِحًا، كَمَا قَالَ: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}.وَ(عَالِمُ) إِذَا كَانَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ صَلُحَ أَنْ يَكُونَ لِلْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَإِذَا كَانَ مُنَوَّنًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ لِلْمَاضِي."

يعني مثل ما ذكرنا مرارًا، أن اسم الفاعل إذا أضيف صار للماضي، وإذا قطع عن الإضافة صار للمستقبل.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} قَالَ قَتَادَةُ: خَلَفًا بَعْدَ خَلَفٍ، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ. وَالْخَلَفُ هُوَ التَّالِي لِلْمُتَقَدِّمِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ؛ فَقَالَ: لَسْتُ بِخَلِيفَةِ اللَّهِ، وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا رَاضٍ بِذَلِكَ."

لأنه تاليه، هو الذي يليه.

طالب:.....

لا بأس، {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة:٣٠]، لكن مع ذلك مثل ما قال -رضي الله عنه: خليفة رسول الله، جاء بعده؛ يعني هو الذي خلفه في هذا الأمر.

"{فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} أَيْ جَزَاءُ كُفْرِهِ وَهُوَ الْعِقَابُ وَالْعَذَابُ. {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا} أَيْ بُغْضًا وَغَضَبًا. {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} أَيْ هَلَاكًا وَضَلَالًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ} شُرَكَاءَكُمْ مَنْصُوبٌ بِالرُّؤْيَةِ، وَلَا يَجُوزُ رَفْعُهُ، وَقَدْ يَجُوزُ الرَّفْعُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ: قَدْ عَلِمْتُ زَيْدًا أَبُو مَنْ هُوَ؟ لِأَنَّ زَيْدًا فِي الْمَعْنَى مُسْتَفْهَمٌ عَنْهُ. وَلَوْ قُلْتُ: أَرَأَيْتَ زَيْدًا أَبُو مَنْ هُوَ، لَمْ يَجُزِ الرَّفْعُ. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ مَعْنَى هَذَا أَخْبِرْنِي عَنْهُ، وَكَذَا مَعْنَى هَذَا أَخْبِرُونِي عَنْ شُرَكَائِكُمُ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَعَبَدْتُمُوهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ شَرِكَةً فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، أَمْ خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا} أَيْ أَمْ عِنْدَهُمْ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْهِمْ بِالشَّرِكَةِ. وَكَانَ فِي هَذَا رَدٌّ عَلَى مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ فِي كِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ أَنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَ أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ. {فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ} قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ عَلَى بَيِّنَةٍ بِالتَّوْحِيدِ، وَجَمَعَ الْبَاقُونَ. وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ إِلَّا أَنَّ قِرَاءَةَ الْجَمْعِ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ قَرَأَهُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ خَالَفَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ.

أَوْ يَكُونُ جَاءَ بِهِ عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ: جَاءَنِي طَلْحَتْ، فَوَقَفَ بِالتَّاءِ، وَهَذِهِ لُغَةٌ شَاذَّةٌ قَلِيلَةٌ؛ قَالَهُ النَّحَّاسُ."

خالف السواد الأعظم، خالف السواد الأعظم باعتبار أن التاء مكتوبة مفتوحة، ليست مربوطة، على بينت، بينت تاء مفتوحة، إذا قرأها على الإفراد والتاء مفتوحة خالف السواد الأعظم، وإن رسمها بغير الرسم الأصلي، فجعلها تاء مربوطة كالهاء فكذلك خالف، فعلى كل حال مثل رحمت، "إن رحمت الله" بالتاء المفتوحة، ومع ذلك هي مفردة وليست بمجموعة، سواء إن كانت بالتاء المفتوحة، أو المربوطة، فإنها مفردة، وأما جمعها على أن التاء مفتوحة وجمع بينات، ورحمات، هذه يكفي فيها وجود الألف الصغيرة التي تكتب قبل التاء.

"وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَأَبُو عُبَيْدٍ: الْجَمْعُ أَوْلَى لِمُوَافَقَتِهِ الْخَطَّ، لِأَنَّهَا فِي مُصْحَفِ عُثْمَانَ (بَيِّنَاتٍ) بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ. {بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} أَيْ أَبَاطِيلَ تَغُرُّ، وَهُوَ قَوْلُ السَّادَةِ لِلسِّفْلَةِ: إِنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ تَنْفَعُكُمْ وَتُقَرِّبُكُمْ. وَقِيلَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَعِدُ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ. وَقِيلَ: وَعَدَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُنْصَرُونَ عَلَيْهِمْ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَيَّنَ أَنَّ خَالِقَهُمَا وَمُمْسِكَهُمَا هُوَ اللَّهُ، فَلَا يُوجَدُ حَادِثٌ إِلَّا بِإِيجَادِهِ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا بِبَقَائِهِ. وَ(أَنْ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِمَعْنَى كَرَاهَةَ أَنْ تَزُولَا، أَوْ لِئَلَّا تَزُولَا."

مفعول لأجله، نعم.

"أَوْ يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَمْنَعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، فَلَا حَاجَةَ عَلَى هَذَا إِلَى إِضْمَارٍ، وَهَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ {وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} قَالَ الْفَرَّاءُ: أَيْ وَلَوْ زَالَتَا مَا أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ. وَ(إِنْ) بِمَعْنَى مَا. قَالَ: وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ}. وَقِيلَ: الْمُرَادُ زَوَالُهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْعِلْمَ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا الَّذِي أَصَبْتَ مِنْ كَعْبٍ؟ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبًا يَقُولُ: إِنَّ السَّمَاءَ تَدُورُ عَلَى قُطْبٍ مِثْلِ قُطْبِ الرَّحَى، فِي عَمُودٍ عَلَى مَنْكِبِ مَلَكٍ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَدِدْتُ أَنَّكَ انْقَلَبْتَ بِرَاحِلَتِكَ وَرَحْلِهَا، كَذَبَ كَعْبٌ، مَا تَرَكَ يَهُودِيَّتَهُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ."

لأن هذا الكلام من تأثير ما تلقاه عن بني جنسه من اليهود.

"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} إِنَّ السَّمَاوَاتِ لَا تَدُورُ ، وَلَوْ كَانَتْ تَدُورُ لَكَانَتْ قَدْ زَالَتْ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ، وَأَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مُقْبِلٍ مِنَ الشَّامِ: مَنْ لَقِيَتَ بِهِ؟ قَالَ كَعْبًا. قَالَ: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ السَّمَاوَاتِ عَلَى مَنْكِبِ مَلَكٍ. قَالَ: كَذَبَ كَعْبٌ، أَمَا تَرَكَ يَهُودِيَّتَهُ بَعْدُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ

تَزُولَا} وَالسَّمَاوَاتُ سَبْعٌ وَالْأَرَضُونَ سَبْعٌ ، وَلَكِنْ لَمَّا ذَكَرَهُمَا أَجْرَاهُمَا مَجْرَى شَيْئَيْنِ، فَعَادَتِ الْكِنَايَةُ إِلَيْهِمَا."

نعم، سبع، وسبع، وعاد الضمير مثنى باعتبار الفريقين، {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} جمع، {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات:٩] باعتبار الطائفتين، وباعتبار الأفراد، جمع، لأن أفراد السموات والأرض، أربع عشرة، وهما صنفان: سموات، وأراضين، فيعاد الضمير عليهما إما بالجمع نظرًا للأفراد، وإما بالتثنية.

"فَعَادَتِ الْكِنَايَةُ إِلَيْهِمَا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا مِنْ كُفْرِ الْكَافِرِينَ، وَقَوْلِهِمُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. قَالَ الْكَلْبِيُّ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، كَادَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولَا عَنْ أَمْكِنَتِهِمَا، فَمَنَعَهُمَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ فِيهِ؛ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ} :الْآيَةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} هُمْ قُرَيْشٌ أَقْسَمُوا قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَلَعَنُوا مَنْ كَذَّبَ نَبِيَّهُ مِنْهُمْ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ -جَلَّ اسْمُهُ- {لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِير} أَيْ نَبِيٌّ {لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ}؛ يَعْنِي مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ رَسُولٌ كَمَا كَانَتِ الرُّسُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا تَمَنَّوْهُ وَهُوَ النَّذِيرُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، نَفَرُوا عَنْهُ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ اسْتِكْبَارًا؛ أَيْ عُتُوًّا عَنِ الْإِيمَانِ {وَمَكْرَ السَّيِّئِ} أَيْ مَكْرَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ."

النذير هذا، أن بعض الناس يلوم غيره إذا وقع في مخالفة، ويقول إنه لو حصل له مثل ما حصل لفلان لما فعل مثل ما فعل، تجده يلوم المسئول ويلوم العالم، ولو أني، ما حصل مثل هذا الأمر، ولا حصل هذا الاختلاف، ثم بعد ذلك إذا جاءه مثل هذا المنصب وتيسر له مثل هذا العمل، تجده على نفس الطريق سائر، الإنسان لاشك أنه محل للزلل والنسيان، لكن لا يعاهد الله -جلّ وعلا- أنه إذا تمكن من كذا أن يفعل كذا، ثم بعد ذلك ينقض العهد، كثير ممن يلوم الناس وهو في السعة، لو في سعة من أمره يتسنى له اللوم؛ لأنه لا يعرف المساوئ ما يدقق وينظر أن هناك مصالح، ومفاسد راجحة ومرجوحة، ثم بعد ذلك يقول: لو أنا في مكان فلان، ما حصل هذا وما يدريك أنه لو كنت في مكان فلان حصل شر من هذا، رجل كبير في السن، صار يتساهل في أمر الصلاة وحضوره للمسجد، فقيل له: لماذا أنت الآن تعديت الستين، والسبعين، فلو التفت إلى نفسك وآخرتك، قال له: لو صوتي مثل صوت عبد الباسط ما طلعت من المسجد، هل هذا عذر هذا؟ ما هذا بعذر ، هؤلاء لاموا اليهود والنصارى ولاموا الأمم السابقة الذين كذبوا أنبياءهم، فلما بُعث فيهم النبي-عليه الصلاة والسلام- كذبوه، فلا يكون الإنسان شبيهًا بمثل هؤلاء، إذا لام

غيره، وتمكن من مثل فعله، ليعمل، وليجتهد، وليحرص، أن يغير إلى الأصلح، ويدرأ المفاسد بقدر الإمكان، والله المستعان.

"اسْتِكْبَارًا؛ أَيْ عُتُوًّا عَنِ الْإِيمَانِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ أَيْ مَكْرَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ. وَهُوَ الْكُفْرُ وَخَذْعُ الضُّعَفَاءِ، وَصَدُّهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ لِيَكْثُرَ أَتْبَاعُهُمْ. وَأَنَّثَ {مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} لِتَأْنِيثِ أُمَّةٍ؛ قَالَهُ الْأَخْفَشُ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْأَخْفَشُ، {وَمَكْرُ السَّيِّئُ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ} فَحَذَفَ الْإِعْرَابَ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَثْبَتَهُ فِي الثَّانِي. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهُوَ لَحْنٌ؛ وَإِنَّمَا صَارَ لَحْنًا لِأَنَّهُ حَذَفَ الْإِعْرَابَ مِنْهُ."

الأصل الإعراب أما التسكين، فهو للوقف وليس بإعراب إلا في الفعل.

"وَزَعَمَ الْمُبَرِّدُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي كَلَامٍ وَلَا فِي شِعْرٍ؛ لِأَنَّ حَرَكَاتَ الْإِعْرَابِ لَا يَجُوزُ حَذْفُهَا، لِأَنَّهَا دَخَلَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعَانِي. وَقَدْ أَعْظَمَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ أَنْ يَكُونَ الْأَعْمَشُ عَلَى جَلَالَتِهِ وَمَحَلِّهِ يَقْرَأُ بِهَذَا، قَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ."

لأنه لو قرأ حمزة والأعمش، هو بلغ الأخفش، هو الظاهر؛ لأنه قال الأعمش أعظم، والأخفش ما يقرأ، الذي يقرأ الأعمش، ماذا عندكم؟

طالب:.....

لا، لا ما تيجي، الطبعة الثانية التي معم أو عند جارك؟ قرأ حمزة؟ حمزة، هو الأعمش، أما الأخفش ما يقرأ الأعمش من القرآء، والتعقيب يدل عليه، نعم، الأعمش على جلالته لا يقرأ بمثل هذا.

"وَقَدْ أَعْظَمَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ أَنْ يَكُونَ الْأَعْمَشُ عَلَى جَلَالَتِهِ وَمَحَلِّهِ يَقْرَأُ بِهَذَا، قَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ. فَغَلِطَ مَنْ أَدَّى عَنْهُ، قَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّهُ تَمَامُ الْكَلَامِ، وَأَنَّ الثَّانِيَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ تَمَامَ الْكَلَامِ أُعْرِبَ بِاتِّفَاقٍ، وَالْحَرَكَةُ فِي الثَّانِي أَثْقَلُ."

لما تقول: "مَكْرَ السَّيِّئِ" تقف، ليس لها متعلق، ثم بعد ذلك تقول: "وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ"، ما تقول: "وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ" ثم تستأنف " إِلَّا بِأَهْلِهِ".

"وَأَنَّ الثَّانِيَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ تَمَامَ الْكَلَامِ أُعْرِبَ بِاتِّفَاقٍ، وَالْحَرَكَةُ فِي الثَّانِي أَثْقَلُ مِنْهَا فِي الْأَوَّلِ لِأَنَّهَا ضَمَّةٌ بَيْنَ كَسْرَتَيْنِ. وَقَدِ احْتَجَّ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ لِحَمْزَةَ فِي هَذَا بِقَوْلِ سِيبَوَيْهِ، وَأَنَّهُ أَنْشَدَ هُوَ وَغَيْرُهُ:

إِذَا اعْـــــوَجَجْنَ قُلْـــــتُ صَـــــاحِبْ قَـــــوِّمِ

وَقَالَ الْآخَرُ:

فَـــــالْيَوْمَ أَشْـــــرَبْ غَيْـــــرَ مُسْـــــتَحْقِبٍ

إِثْمًـــــــا مِـــــــنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِـــــــلِ

وَهَذَا لَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ سِيبَوَيْهِ لَمْ يُجِزْهُ، وَإِنَّمَا حَكَاهُ عَنْ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ، وَالْحَدِيثُ إِذَا قِيلَ فِيهِ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ عَلَى وَجْهِ الشُّذُوذِ وَلِضَرُورَةِ الشِّعْرِ وَقَدْ خُولِفَ فِيهِ. وَزَعَمَ الزَّجَّاجُ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَنْشَدَهُ:

إِذَا اعْـــــوَجَجْنَ قُلْـــــتُ صَـــــاحِ قَـــــوِّمِ

وَأَنَّهُ أَنْشَدَ:

فَـــــالْيَوْمَ اشْـــــرَبْ غَيْـــــرَ مُسْـــــتَحْقِبِ

بِوَصْلِ الْأَلِفِ عَلَى الْأَمْرِ؛ ذَكَرَ جَمِيعَهُ النَّحَّاسُ. قال الزَّمَخْشَرِيُّ: وَقَرَأَ حَمْزَةُ {وَمَكْرَ السَّيِّئْ} بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ، وَذَلِكَ لِاسْتِثْقَالِهِ الْحَرَكَاتِ، وَلَعَلَّهُ اخْتَلَسَ فَظَنَّ سُكُونًا."

يعني ما بين الكسرة بيانًا يلتفت، ينتبه إليه السامع، أحيانًا يقرأ الإنسان قراءة صحيحة فيشتبه على السامع ماذا قرأ؟

"أَوْ وَقَفَ وَقْفَةً خَفِيفَةً ثُمَّ ابْتَدَأَ (وَلَا يَحِيقُ). وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ (وَمَكْرًا سَيِّئًا) وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَمَنْ سَكَّنَ الْهَمْزَةَ مِنْ قَوْلِهِ: (وَمَكْرَ السَّيِّئْ) فَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ الْوَقْفِ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَجْرَى الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ أَسْكَنَ الْهَمْزَةَ لِتَوَالِي الْكَسَرَاتِ وَالْيَاءَاتِ، كَمَا قَالَ:

فَـــــالْيَوْمَ أَشْـــــرَبْ غَيْـــــرَ مُسْـــــتَحْقِبِ

قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَقَرَأَ حَمْزَةُ (وَمَكْرَ السَّيِّئْ) بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ، وَخَطَّأَهُ أَقْوَامٌ. وَقَالَ قَوْمٌ: لَعَلَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ تَمَامُ الْكَلَامِ، فَغَلِطَ الرَّاوِي وَرَوَى ذَلِكَ عَنْهُ فِي الْإِدْرَاجِ، وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي أَمْثَالِ هَذَا، وَقُلْنَا: مَا ثَبَتَ بِالِاسْتِفَاضَةِ أَوِ التَّوَاتُرِ أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَرَأَهُ فَلَا بُدَّ مِنْ جَوَازِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَحْنٌ، وَلَعَلَّ مُرَادَ مَنْ صَارَ إِلَى التَّخْطِئَةِ أَنَّ غَيْرَهُ أَفْصَحُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ هُوَ فَصِيحًا. {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} أَيْ لَا يَنْزِلُ عَاقِبَةُ الشِّرْكِ إِلَّا بِمَنْ أَشْرَكَ. وَقِيلَ: هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قَتْلِهِمْ بِبَدْرٍ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَقَـــــدْ دَفَعُـــــوا الْمَنِيَّـــــةَ فَاسْـــــتَقَلَّتْ

ذِرَاعًـــــا بَعْـــــدَمَا كَانَـــــتْ تَحِيـــــقُ

أَيْ تَنْزِلُ، وَهَذَا قَوْلُ قُطْرُبٍ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَحِيقُ بِمَعْنَى يُحِيطُ. وَالْحَوْقُ الْإِحَاطَةُ، يُقَالُ: حَاقَ بِهِ كَذَا أَيْ أَحَاطَ بِهِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ كَعْبًا قَالَ لَهُ: إِنِّي أَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ (مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ حُفْرَةً وَقَعَ فِيهَا)، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي أُوجِدُكَ فِي الْقُرْآنِ ذَلِكَ. قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فَاقْرَأْ {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ (مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ جُبًّا وَقَعَ فِيهِ مُنْكَبًّا) وَرَوَى الزُّهْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا تَمْكُرْ وَلَا تُعِنْ مَاكِرًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}، وَلَا تَبْغِ وَلَا تُعِنْ بَاغِيًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}». وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:

يَـــــا أَيُّهَـــــا الظَّـــــالِمُ فِـــــي فِعْلِـــــهِ
وَالظُّلْـــــمُ مَـــــرْدُودٌ عَلَـــــى مَـــــنْ ظَلَـــــمْ
إِلَـــــى مَتَـــــى أَنْـــــتَ وَحَتَّـــــى مَتَـــــى
تُحْصِـــــي الْمَصَـــــائِبَ وَتَنْسَـــــى الـــــنِّعَمْ"

هذا حال كثير من الناس، النعم تُنسى، والإحسان يُنسى، والإساءة لا تنسى، تحفظ، وليس هذا من العدل ولا من الإنصاف، لأن الإنسان إذا يذكر الحسنات ويذكر السيئات إذا ذكر، وإلا فالأصل أن السيئات ما لم يتعدى ضررها يخشى انتشارها، فإنها لا تذكر، لاسيما في جانب الأموات، الذين جاء فيهم، ‹‹اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم››، والله المستعان، نعم.

"وَفِي الْحَدِيثِ ‹‹الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّار››. فَقَوْلُهُ: (فِي النَّارِ) يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ تُدْخِلُ أَصْحَابَهَا فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَخْلَاقِ الْكُفَّارِ لَا مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَخْيَارِ."

يكون المعنى حينئذٍ مثل معنى: ‹‹وكل ضلالة في النار››، ‹‹أما أسفل الكعبين ففي النار››، المراد الصاحب.

"وَلِهَذَا قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي سِيَاقِ هَذَا الْحَدِيثِ: ‹‹وَلَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالْخِيَانَةُ››. وَفِي هَذَا أَبْلَغُ تَحْذِيرٍ عَنِ التَّخَلُّقِ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وَالْخُرُوجِ عَنْ أَخْلَاقِ الْإِيمَانِ الْكَرِيمَةِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ}؛ أَيْ إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ الْعَذَابَ الَّذِي نَزَلَ بِالْكُفَّارِ الْأَوَّلِينَ. {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}؛ أَيْ أَجْرَى اللَّهُ الْعَذَابَ عَلَى الْكُفَّارِ، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً فِيهِمْ، فَهُوَ يُعَذِّبُ بِمِثْلِهِ مَنِ اسْتَحَقَّهُ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُبَدِّلَ ذَلِكَ، وَلَا أَنْ يُحَوِّلَ الْعَذَابَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ."

لأن هذا لا يحتمل، ولا يقبل النيابة، هذا لا يقبل النيابة.

"وَالسُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ، وَالْجَمْعُ سُنَنٌ. وَقَدْ مَضَى فِي (آلِ عِمْرَانَ) وَأَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا}؛ فَأَضَافَ إِلَى الْقَوْمِ لِتَعَلُّقِ الْأَمْرِ بِالْجَانِبَيْنِ؛ وَهُوَ كَالْأَجَلِ، تَارَةً يُضَافُ إِلَى اللَّهِ، وَتَارَةً إِلَى الْقَوْمِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} وَقَالَ: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ}."

يعني تضاف إلى الله باعتباره الفاعل الحقيقي، والمميت حقيقةً، وهو الذي ضرب الأجل حقيقةً، وهو الذي سن هذه السنة في الأمم كلها بحيث لا تتغير ولا تتبدل، حقيقةً، وهي أيضًا تقال أيضًا على الطرف الثاني، المفعول به المُتوفَى، المُعذب، المُجرى عليه هذه السنن، والله المستعان.

"قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}. بَيَّنَ السُّنَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا؛ أَيْ أَوَ لَمْ يَرَوْا مَا أَنْزَلْنَا بِعَادٍ وَثَمُودَ، وَبِمَدْيَنَ وَأَمْثَالِهِمْ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ،

فَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ بِنَظَرِهِمْ إِلَى مَسَاكِنِهِمْ وَدُورِهِمْ، وَبِمَا سَمِعُوا عَلَى التَّوَاتُرِ بِمَا حَلَّ بِهِمْ، أَفَلَيْسَ فِيهِ عِبْرَةٌ وَبَيَانٌ لَهُمْ؟ لَيْسُوا خَيْرًا مِنْ أُولَئِكَ وَلَا أَقْوَى، بَلْ كَانَ أُولَئِكَ أَقْوَى؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: {وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}؛ أَيْ إِذَا أَرَادَ إِنْزَالَ عَذَابٍ بِقَوْمٍ لَمْ يُعْجِزْهُ ذَلِكَ. {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا} يَعْنِي مِنَ الذُّنُوبِ. {مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يُرِيدُ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ مِمَّا دَبَّ وَدَرَجَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ فُعِلَ ذَلِكَ زَمَنَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مِنْ دَابَّةٍ يُرِيدُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ دُونَ غَيْرِهِمَا؛ لِأَنَّهُمَا مُكَلَّفَانِ بِالْعَقْلِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَالْأَخْفَشُ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: أَرَادَ بِالدَّابَّةِ هُنَا النَّاسَ وَحْدَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ."

لأنهم هم الذين صاروا سببًا لهذا العذاب هم المخالفون، ولوْ يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرِها من أحِد منهم، وكونه يشمل الجن والإنس، هذا ظاهر في كونهم مكلفين بالأوامر، وعليهم التبعات في ارتكاب النواهي، وإن كان العرف أو الأصل في الدابة أنها جميع ما يدب على وجه الأرض، ويجوز أن يعاقبوا تبعًا لغيرهم، فيحصل الجدب، ويحصل القحط، ويحصل الفيضانات، ويحصل غير ذلك من العقوبات بسبب معصية من كلف بالطاعة، ثم تشمل هذه العقوبات ما على وجه الأرض، من جميع ما يدب على الأرض،.

"قُلْتُ: وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُ عَنْ صَحَابِيٍّ كَبِيرٍ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كَادَ الْجُعَلُ أَنْ يُعَذَّبَ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: أَمَرَ رَجُلٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَذَبْتَ؟ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْحُبَارَى لَتَمُوتُ هُزْلًا فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ."

نعم، ولكل قوم وارث، هذا الذي يقول عليك بنفسك، مثل الذي يقول: أن الاحتساب تدخل في شئون الناس، في أمور الغير، والله المستعان.

"وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ وَيَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَحْبِسُ اللَّهُ الْمَطَرَ فَيَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ. وَقَدْ مَضَى فِي (الْبَقَرَةِ) نَحْوُ هَذَا عَنْ عِكْرِمَةَ وَمُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) هُمُ الْحَشَرَاتُ وَالْبَهَائِمُ يُصِيبُهُمُ الْجَدْبُ بِذُنُوبِ عُلَمَاءِ السُّوءِ الْكَاتِمِينَ فَيَلْعَنُونَهُمْ. وَذَكَرْنَا هُنَاكَ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ: (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) قَالَ: دَوَابُّ الْأَرْضِ. {وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} قَالَ مُقَاتِلٌ: الْأَجَلُ الْمُسَمَّى هُوَ مَا وَعَدَهُمْ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وَقَالَ يَحْيَى: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} أَيْ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ مِنْهُمْ."

خطأ، العذاب ولا العقاب؟ العقاب.

"أَيْ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ مِنْهُمْ (بَصِيرًا) وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي (إِذَا) (بَصِيرًا) كَمَا لَا يَجُوزُ: الْيَوْمَ إِنَّ زَيْدًا خَارِجٌ. وَلَكِنَّ الْعَامِلَ فِيهَا (جَاءَ) لِشَبَهِهَا بِحُرُوفِ الْمُجَازَاةِ، وَالْأَسْمَاءُ الَّتِي يُجَازَى بِهَا يَعْمَلُ فِيهَا مَا بَعْدَهَا."

وكونه شبيهًا بالمجازاة لوقوع (الفاء) في جوابه.

"وَسِيبَوَيْهِ لَا يَرَى الْمُجَازَاةَ بِـ(إِذَا) إِلَّا فِي الشِّعْرِ، كَمَا قَالَ:

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا

خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ"

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك، بعد رمضان إن شاء الله، نستأنف بين العيدين إن شاء الله، في وقته في الاثنين والجمعة. والله المستعان.